الفصل الثالث

الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني في مواجهة ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحوه

الفصل الثالث

الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني في مواجهة ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحوه

تمهيـد

لا شك بأن للتراث أهمية كبرى لدى الأمم والدول والشعوب تسعى إلى تأكيده للرأي العام، وتزداد تلك الحاجة في فلسطين بشكل أكثر للحفاظ على التراث الفلسطيني بخاصة لما يتعرض له من قبل الاحتلال الإسرائيلي من محاولات لطمس هويته وثقافته الوطنية وتراثه من خلال سرقة الحكومة الإسرائيلية لهذا التراث.

وهناك اختلاف في تقدير الجهود المبذولة على مستوى الوطن سواءً كأفراد أو باحثين أو دارسين أو مؤسسات إعلامية في حق التراث، وإذا كانت هناك محاولات فهي محاولات متواضعة لا تعد عن كونها محاولات فردية، وهذا نتيجة لغياب مؤسسة رسمية أو أهلية تُعني بالتراث.

وتبرز أهمية التراث الفلسطيني بشكل خاص كأحد أدوات تأكيد الحق باعتبار توثيقه والتمسك به وتجميعه ونشره وتثبيته واستمراره والحفاظ عليه من أهم عناصر الثقافة الفلسطينية بل أنه من المظاهر الخاصة التي تميز الشعب الفلسطيني عن غيره من الشعوب ويؤكد إثبات الحقوق الفلسطينية في وطنه، وخاصة أن إسرائيل عمدت منذ البداية على العمل بكافة السبل والوسائل لطمس ومحق ومسح التراث الفلسطيني بل في كثير من الأحيان تنسبه إليها ليعد أحد الدلائل القوية على وجوده في أرض فلسطين منذ آلاف السنين، وليس فقط سرقة تراث الشعب الفلسطيني بل تعدت على الدول المجاورة كسوريا ولبنان والعراق وغيرها من الدول العربية.

وللشعب الفلسطيني له تاريخه، وله ثقافاته وعاداته وتقاليده ولهجته وأغانيه وطبائعه وقبل كل ذلك له عقيدته التي استمد منها قدسية الأرض التي يعيش عليها والمسجد الأقصى الذي قد يُحْرَم أحياناً من الصلاة فيه.

ويأخذ الصراع العربي الإسرائيلي في فلسطين المحتلة عدة أبعاد، فهو ليس فقط نزاع على الأرض وعلى مصادر الماء ولكنه أيضا نزاع على المخطوطات والأرشيف والمعالم الأثرية وكامل التراث الثقافي الفلسطيني وباختصار إنه صراع ثقافي وحضاري، وبالفعل فإن إسرائيل تشن حربا على الجبهتين العسكرية والثقافية لأجل إثبات الحضور اليهودي على ارض فلسطين من جهة وإخفاء الحضور العربي الإسلامي على نفس الأرض من جهة أخرى هذا بالرغم من كل الحجج والبراهين

والمعالم التي تشهد بالشرعية التاريخية والثقافية للعرب في فلسطين، لهذا تعمل الدولة العبرية منذ ١٩٤٨ على مسح هوية المواطن الفلسطيني وذلك بإتلاف تراثه وتحطيم مكتباته، ونهب مخطوطاته وأرشيفه وكتبه، هذا علاوة على مصادرة حقه في التعلم والثقافة والوصول إلى المعلومات [١].

أولاً: الجهود المبذولة للحفاظ على التراث الفلسطيني

١- دور المنظمات الدولية في الحفاظ على التراث

أ- منظمة اليونيسكو

تمارس اليونسكو دوراً ريادياً في إطلاق المبادرات الدولية لحماية التراث، وتقوم الاتفاقية بشأن حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي المعتمدة منذ عام ١٩٧٢ على فكرة أنّ بعض المواقع تتمتع بقيمة عالمية استثنائية وأنه ينبغي من هذا المنطلق، أن تكون جزءاً من التراث المشترك للإنسانية كما تعترف الدول الأطراف في الاتفاقية بأنّ حماية التراث العالمي واجب على المجتمع الدولي بأكمله من غير مساس بالسيادة الوطنية، وحقوق الملكية المنصوص عليها في التشريعات الوطنية، وتشمل قائمة التراث العالمي حالياً أكثر من ٧٠٠ موقع طبيعي وثقافي من تاج محل في الهند إلى مدينة طومبوكتو القديمة في مالي، وروائع طبيعية كالحاجز المرجاني الكبير في أستراليا، ويتولى مركز التراث العالمي الأمانة الدائمة للاتفاقية، وتوفر اليونسكو مساعدة فنية لصون المواقع الاستثنائية كموقع أذكور عاصمة الخمير القديمة (كمبوديا) ومدينة فاس في المغرب [٢].

دور اليونيسكو في الحفاظ على القدس

وقد دأبت إسرائيل حتى قبل قرارها بضم القدس، الصادر بعد حرب حزيران 1967مباشرة على القيام بحملة كانت صامتة في البداية، ثم ما لبثت أن أصبحت مكشوفة، وضجت منها الأوساط الدينية الإسلامية، كما ضجت منها الأوساط الثقافية في كل مكان، وقد بدأت اليونسكو قراراتها بصيغة متواضعة، إذ دعت إسرائيل في قرارها رقم 15 م343 / ٣ عام 1968 إلى المحافظة على المتلكات الثقافية خصوصاً القدس القديمة، ثم تكلمت في قرار لاحق عام 1972 عن " دعوة إسرائيل بصورة مستعجلة إلى الكف عن تغيير معالم القدس وعن الحفريات الأثرية " ثم وجدت اليونسكو أنه لا بد من الإدانة الصريحة فقررت عام 1974 "إدانة إسرائيل لموقفها

---

(1) http://www.afli.org/sa71.html

(2) http://typo38.unesco.org/ar/unesco-home/unesco-themes/clt.html

المناقض لأهداف اليونسكو وتنفيذ قرارات المؤتمر العام والمجلس التنفيذي بشأن حماية الممتلكات الثقافية في مدينة القدس"، وشددت لهجتها في قرار آخر عام 1976 فقررت " توجيه نداء رسمي إلى إسرائيل بالامتناع فوراً عن الحفريات الأثرية والتدابير التي تغير طابع مدينة القدس".

ثم تطورت عبارة اليونسكو إلى مرحلة تسمية الأشياء بأسمائها، ففي الاجتماع الدوري اللاحق بعد سنتين، أي في عام 1978 جاء قرارها يعلن " إدانة إسرائيل لتغيير معالم القدس التاريخية والثقافية وتهويدها "، وفي اجتماع اليونسكو في تشرين الأول وتشرين الثاني عام 1987 صدر القرار الذي" دعا المدير العام لليونسكو إلى مواصلة ضمان التطبيق الصارم لقرارات اليونسكو المتعلقة بصون التراث الثقافي للقدس ما دامت المدينة تحت الاحتلال".

وحاولت المنظمة الدولية إيفاد بعثة تمثل الأمين العام إلى القدس، لدرس مختلف الجوانب الأثرية والفنية والاجتماعية والثقافية المرتبطة بصون المواقع في المدينة، ولكن الصهاينة عطلوا وصول هذه البعثة على مدى عامي 1989 و1990 ، وعقب تمكنها من زيارتها القدس دعت المنظمة الدولية عام 1991 إلى تشكيل مجلس مؤلف من شخصيات علمية مشهود لها بالكفاءة لتقديم المشورة لترميم الآثار الإسلامية في القدس، وبذلك تقدمت اليونسكو خطوة ذات شأن في التعاون التنفيذي مع الأوقاف الإسلامية وكانت قد قررت في اجتماعها الدوري عام 1989 "اعتبار أعمال الاعتداء والتدمير والتغيير التي يعاني منها التراث الثقافي للقدس إساءة إلى الذاكرة الجماعية للشعوب" [١].

ولا يمكن لهذا البعد الأولي لتراثنا المشترك – المواقع الثقافية والطبيعية- أن يكون بمعزل عن الشخصية الإنسانية التي أبدعته بما تحمل من تنوع كبير في مختلف وسائل التعبير الثقافية وخصوصاً في البلدان النامية وغالباً ما يكون ذلك على شكل تراث غير مادي: احتفالات وأغنيات ولغات وأماكن للاحتفال تغذي الحسّ الإبداعي والتضامن، وتقوم اليونسكو حالياً بتطوير أول وثيقة قانونية دولية ترمي إلى حماية هذا التراث، وقد كانت لجنة تحكيم دولية قد اختارت قائمة من روائع التراث الشفهي وغير المادي للإنسانية وتقوم بانتظام بإدراج روائع أخرى على هذه القائمة الهادفة إلى توفير حماية قانونية ومساندة مالية لها [٢].

---

(١) ناهض الريس. **القدس بين زيف القانون الإسرائيلي وعجز القانون الدولي** (غزة: اللجنة الوطنية العليا للقدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩، ٢٠٠٩) ص٩٧- ٩٩.

(2) http://typo38.unesco.org/ar/unesco-home/unesco-themes/clt.html

وأدرجت منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم "يونيسكو" على قائمة التراث الثقافي العالمي ٤٣ عملا جديدا ثلثاها من البلدان النامية، مقدمة بهذا الرقم القياسي اعترافا عالميا بنواحي متعددة من ثقافة عالمية بحاجة ملحة إلى الحماية، وقال المدير العام للمنظمة الياباني كويشيرو ماتسورا لدى تقديمه لائحة العام ٢٠٠٥ أن "المخاطر - المحدقة بالتراث العالمي- متعددة"، وتتناول هذه اللائحة أعمالا حية في مجالات مختلفة مثل الأقوال والحكايات الشعبية الشفهية والكلمات المأثورة والرقص والموسيقى والأعراف والعادات التقليدية المتعلقة بالطبيعة والكون، بالإضافة إلى المهارات الحرفية والنشاطات الثقافية التقليدية، فمن الحكاية الشعبية الفلسطينية إلى موسيقى اهليل قرارة الشعبية الجزائرية مرورا بنشاطات البدو الثقافية في بترا ووادي رم "الأردن" وموسم الطنطان في المغرب ومسرح الكابوكي في اليابان فضلا عن العديد من الرقصات والتمثيليات والمهرجانات في جميع أنحاء العالم، وتؤكد اليونيسكو على أهمية هذا التراث بالنسبة "للهوية الثقافية لهذه المجموعات" التي غالبا ما تكون أقلية أو ضعيفة، وعبر ماتسورا عن سروره بكون "الغالبية العظمى" لهذه الأعمال " آتية من دول نامية وتحديدا من القارة الأفريقية التي تشكل أحد أغني مخازن التراث الثقافي"، وجدد الأمين العام تعهد المنظمة بالمساعدة على تأمين تطبيق خطط فعالة للحفاظ على هذا التراث.

واختارت لجنة دولية مؤلفة من ١٨ عضوا وترأسها سمو الأميرة بسمة بنت طلال هذه الأعمال لسنة ٢٠٠٥ من بين ٦٤ اقتراحا تقدمت بها دول أو منظمات دولية أملا في تصنيفها في هذه اللائحة التي تصدر كل سنتين، ومن المفترض أن تكون هذه اللائحة هي الأخيرة مع دخول معاهدة الحفاظ على التراث الثقافي قريبا حيز التنفيذ (١)

وأدان خبراء ومسئولو التراث والآثار في الدول العربية في ختام اجتماعاتهم بمقر جامعة الدول العربية في القاهرة تدمير الاحتلال الإسرائيلي وتهديده الآثار والتراث الفلسطيني،واتهم البيان الختامي إسرائيل بتدمير منهجي ومتعمد إلى جانب نهب الآثار من قبل قوات الاحتلال بما في ذلك التراث الإسلامي والعربي في مدينة القدس، وطالبوا الدول العربية الأعضاء في لجنة التراث العالمي بمتابعة تنفيذ التوصيات التي أقرها الاجتماع والتي تتضمن حماية الآثار والتراث الفلسطيني وترميم المواقع الأثرية التي تعرضت للتدمير وتشكيل لجنة مراقبة دائمة من اليونسكو في فلسطين للحفاظ على تراثها الإنساني والثقافي وذلك في اجتماعات لجنة التراث العالمي(٢).

---

(1) http://addustour.com/news/Viewoldnews.asp?Nid=137741

(2) http://www.aljazeera.net/art_culture/2004/4/4-16-1.htm

وقد أدان وزراء الثقافة العرب في ختام دورتهم الثانية عشرة في الرياض ٢٠٠٠/١١/٢٢ التصرفات الإسرائيلية العدوانية المتمثلة في طلب تسجيل مواقع أثرية فلسطينية هي مدنيتا القدس وعكا العربيتان التاريخيتان وموقع النقب الطبيعي وغيرها كمواقع إسرائيلية ضمن قائمة التراث العالمي ووصف الوزراء في بيان موجه إلى (اليونسكو) هذا التصرف الإسرائيلي غير حضاري وإن إسرائيل تهدف من ورائه تكريس سياسة الأمر الواقع على أرض فلسطين ضاربة بعرض الحائط معاهدة لاهاي ١٩٥٤ ومتنكرة للمواثيق والاتفاقات الثقافية كافة [١].

كما طالبت ١٣ دولة إسلامية شاركت في اجتماع حول الممتلكات الثقافية الإسلامية المسلوبة في القاهرة بتاريخ ٢٠٠١/٦/١٢ بإعادة تراثها الثقافي المسلوب وخصوصاً الفلسطيني والسوري واللبناني منه، واستضافت القاهرة مؤتمراً بعنوان " الاجتماع الدولي حول الممتلكات الثقافية الإسلامية المسلوبة، وبمشاركة العديد من الدول والهيئات التي تعنى بحماية التراث الإسلامي وطالب المؤتمرين باعتماد ورقة القاهرة التي صدرت عن مؤتمر الأثريين العرب ونادت بإعادة التراث الفلسطيني ورفض المحاولات الإسرائيلية بالاستيلاء عليه " [٢].

وأوصى مسئولو الآثار والتراث من ١٦ دولة عربية شاركت في اجتماع تنسيقي في جامعة الدول العربية برفض المشروع الإسرائيلي الذي يتضمن اعتبار الأخدود الآسيوي الأفريقي وحدة تراثية ثقافية طبيعية واحدة، وأعاد المشاركون الرفض إلى أن إسرائيل تهدف إلى خلق مجال للتعاون معها من جانب الدول العربية الواقعة على طرفي الأخدود الذي يمتد مسافة سبعة آلاف كلم من جبال طوروس التركية في الشمال حتى جنوب أفريقيا، إلى جانب فتح الفرصة أمامها للتدخل في شؤون عشرين دولة تقع على طرفي الأخدود [٣].

وكان المندوبون العرب رفضوا في مؤتمر في العاصمة الموريتانية نواكشط في كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٣ الدعوة الإسرائيلية خلال مؤتمر لجنة التراث في باريس في حزيران/يونيو ٢٠٠٣ إلى اعتبار الأخدود الآسيوي الأفريقي وحدة تراثية كاملة، وكان سبب الرفض منع إسرائيل من تحقيق أهدافها التطبيعية مع المنطقة العربية من خلال هذا المشروع دون أن تحل سياسيا الوضع الفلسطيني[٤].

---

(1)www.albayan.co.ae/albayan/2000/11/23/ola/17.htm

(2)www.albayan.co.ae/albayan/2001/06/13/mnw/23.htm

(3) http://www.thisissyria.net/2004/04/21/arab

(4)http://www.alqanat.com/news/Shownews.asp?id=37228

مؤتمر لجنة التراث العالمي

وتشارك فلسطين باستمرار في مؤتمر لجنة التراث العالمي، الذي ينظم فعالياته في مدن مختلفة من العالم بحضور ومشاركة وفود تمثل عدداً كبيراً من الدول العربية والأجنبية ويقدم الوفد لائحة تضم المواقع الأثرية والسياحية الفلسطينية المرشحة للانضمام لقائمة التراث العالمي واستعراض الاعتداءات الإسرائيلية على الموروث الثقافي الفلسطيني، خاصة ما تعرضت له المواقع الأثرية والتاريخية في المدن الفلسطينية، إضافة إلى الانعكاسات السلبية المترتبة على جدار الفصل العنصري وتأثيره على المواقع الأثرية الفلسطينية، وكل ما يتعلق بقضايا الاعتداءات الإسرائيلية على التراث الفلسطيني، وأن لجنة التراث أقرت في اجتماعها السابقة أهمية متابعة الموروث الثقافي الفلسطيني، وما تعرض له من اعتداءات إسرائيلية والعمل على ضمان دعم لجنة التراث المكلفة بمتابعة متطلبات الحفاظ وحماية التراث الثقافي والطبيعي الفلسطيني.

وحول أبرز ما حققته اللجنة المذكورة من إنجازات في هذا الشأن أن بعثة التراث العالمي التي زارت الأراضي الفلسطينية في شهر تشرين الأول عام ٢٠٠٢ عملت منذ ذلك الحين وحتى الآن على تنفيذ جملة من الفعاليات الهادفة لحماية التراث الفلسطيني، منها تنظيم عدة ورش عمل شارك فيها متخصصون في التراث، حيث اطلعوا على أسس ومبادئ اتفاقية التراث العالمي وكيفية تطبيقها وآليات جمع الوثائق والمواد المتعلقة بقائمة المواقع الأثرية التي سيتم ترشيحها للانضمام لقائمة التراث العالمي، إضافة إلى الإطلاع على آليات العمل الهادفة لرفع مستوى الوعي المجتمعي بمواقع التراث وتأسيس لجنة التراث العالمي الفلسطيني.

وكانت لجنة التراث العالمي أعربت عن قلقها البالغ من التدمير الإسرائيلي المتعمد لأجزاء من البلدة القديمة في نابلس، وما نتج عن الحصار الإسرائيلي لكنيسة المهد، حيث أقرت اللجنة في اجتماع في العاصمة الهنغارية بودابست عام ٢٠٠٤ تخصيص ١٥٠ ألف دولار أميركي لدعم التراث العالمي الفلسطيني، والحفاظ عليه من خلال مساعدة السلطة الفلسطينية في العديد من الأعمال المتعلقة بجرد مواقع التراث ذات الأهمية العالمية والاستثنائية، وتقويم حالة هذه المواقع ومعايير حمايتها، وهناك جملة من الأنشطة يجري تنفيذها من قبل اللجنة في مجال الإعداد لورش العمل الهادفة إلى تفعيل الدور المجتمعي والمؤسساتي في مجال الحفاظ على التراث وإعداد الترتيبات اللازمة لإنجاز قائمة بأسماء خبراء فلسطينيين مختصين في التراث

الثقافي ودعم الجهود الرامية إلى بناء قدرات الكوادر العاملة في دائرة الآثار والتراث الثقافي[١].

وطالبت الدول العربية بمخاطبة المنظمات الدولية المعنية والدول الأعضاء في لجنة التراث العالمي باليونسكو ومدير المنظمة للتدخل العاجل لحماية المواقع الأثرية والتاريخية والدينية بالأراضي الفلسطينية، وضرورة تطبيق اتفاقية التراث العالمي لعام ٧٢ والتي تنص على حماية التراث العالمي في حالة نشوب النزاع المسلح واتفاقية جنيف الرابعة لعام ٤٩ والبروتوكولات الإضافية ذات الصلة باليونسكو والمعاهدات الدولية التي تنص على حماية التراث العالمي وتبنى حملة دولية لإنقاذ التراث الفلسطيني المعرض للخطر والمعتدى عليه من جانب القوات الإسرائيلية ودعوا الدول العربية أيضا لتقديم الدعم المادي والفني لإنجاح هذه الحملة العاجلة ووقف وإدانة الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات المسيحية والإسلامية وفى مقدمتها كنيسة المهد والمسجد الأقصى، واحترام جميع المقدسات الدينية وإتاحة الفرصة أمام الجهود الدولية الملحة لإنقاذ احد المقدسات المسيحية الهامة التي تعرضت أجزاء منها للدمار والتي تعتبر جزءا من التراث الإنساني العالمي[٢].

وتضافرت الجهود الدولية لحماية التراث الثقافي من خلال الاتفاقيات الدولية التي رعتها وقد تم التصديق على اتفاقية حماية التراث الثقافي في حالات النزاعات العسكرية التي وقعتها ٦٦ دولة وتم اعتماد اتفاقية تحريم تصدير الكنوز الثقافية التي وقعتها ٣٨ دولة عام ١٩٧٠م. وتكتسب وثيقة حماية الثروة الثقافية والطبيعية أهمية خاصة وفي عام ١٩٧٢ شكلت اللجنة الدولية للصندوق الخاص وهي تقوم بالمحافظة على قائمة التراث العالمي [٣].

ومن خلال المؤتمرات الدولية يتم اتخاذ القرارات فيما يتعلق بالتراث العالمي الذي يخص الانسانية جمعاء ويتسم بصفات وقيم قابلة للاهتمام العالمي، ومن أحد أهداف مؤتمر عام ١٩٧٢ تاسيس نظام فعال ومؤثر بشكل جماعي لحماية الثقافة والتراث على اسس عالمية منظمة وثابتة تنسجم وتتطابق العصر بطرق علمية، مما يشجع ويساهم على تقريب نموذج للفهم موحد للتراث في مختلف انحاء العالم [٤].

---

(1)http://www.minfo.gov.ps/Culture/Arabic/24-10-04.htm

(2) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2002/issue121/light/3.htm

(٣) عبد الحكيم بدران. **مرجع سابق**، ص١٩٣.

(4) Graham, Brian, G.J. Ashworth and J.E. Tunbridge (2000) **AGeography of Heritage**. London: Arnold. Graham, Stephenm,p 237.

ب- الايسيسكو

تقدم المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم «الايسيسكو» الدعم للسلطة الوطنية الفلسطينية من خلال اللجنة الوطنية الفلسطينية للتربية والثقافة والعلوم و هي الجهاز المعتمد من قبل السلطة الفلسطينية للتعامل معها، وبالنسبة لقضية الترميم والصيانة في القدس، فهناك معوقات كبيرة تضعها سلطات الاحتلال في وجه المنظمة وفي وجه المنظمات الدولية، ومع ذلك تواصل المنظمة دعم فلسطين والقدس لحماية وصيانة المقدسات، مطالبة الحكومات الإسلامية القادرة للقيام بدورها في تقديم الدعم في هذا الشأن لأن عمل «الايسيسكو» محدود بإمكانياتها[١].

والقيام بوضع خطة عربية عاجلة متكاملة لتوثيق وصيانة وترميم مدينة القدس التاريخية والمطالبة بدعم الدول العربية للمؤتمر الدولي لحماية المقدسات الإسلامية والمسيحية في فلسطين والذي تعقده «الايسيسكو» والذي يهدف لوضع خطة عمل أكاديمية لحملة إعلامية للتعريف بقضية القدس بالدول الغربية (٢).

كما أن «الايسيسكو» أول مَنْ أدان ما تعرض له التراث العراقي من تدمير وسرقة بعد الاحتلال «الأنجلو أمريكي»، ونددت بالاحتلال، وشكلت أول لجنة تعنى بالتراث العراقي و«الايسيسكو» حريصة كل الحرص على هذا التراث الحضاري بالعراق لأنه جزء مهم من التراث الحضاري الإسلامي والإنساني، وتحذر قوات الاحتلال من أي مساس بهذا التراث كما أن التراث الذي دُمر لا يمكن عمل شيء له سوى مطالبة مَنْ دمره بالتعويض، أما الذي سُرق فيجب على مَنْ سرقه إعادته وقد طالبت «الايسيسكو» مع «اليونيسكو» بإعادة التراث المسروق، وتم ضبط العديد من القطع الأثرية والتراثية على الحدود العراقية الأردنية والسورية و«الايسيسكو» على اتصال دائم مع الجهات المعنية في العالم ودول الجوار لضبط ما تم سرقته وإعادته للعراق[٣].

وعلى الرغم من امتلاك العالم الإسلامي لعدد ضخم من المواقع التراثية والحضارية إلا أن أعداد هذه المواقع المسجلة على قائمة التراث العالمي لا تتناسب مع هذه الإمكانيات ولقد انتهت «الايسيسكو» من وضع برنامج عمل خاص بهذه القضية وعقدت اتفاقية خاصة مع «اليونيسكو» وبالتعاون مع الدول الإسلامية لتقديم قوائم بهذه المواقع التي لم تسجل حتى نتمكن من ضمها لقائمة التراث العالمي والعالم الإسلامي مطالب بالحفاظ على ما لديه من تراث حضاري ورعايته وترميمه بكل أنواعه وبكل عصوره الحضارية.

ج- الاليكسو

---

(1) http://www.dicd.ae/vArabic/articledetails.jsp?objectID=7413&issueid=7362

(2) http://www.albayan.co.ae/albayan/culture/2002/issue121/light/3.htm

(3)http://www.dicd.ae/vArabic/articledetails.jsp?objectID=7413&issueid=7362

دعا المؤتمر العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الالكسو" عام ٢٠٠٤ الدول العربية إلى اتخاذ موقف عربي موحد وقوي في اجتماعات المجلس التنفيذي لـ"اليونسكو" واجتماعات لجنة التراث العالمي في شأن القدس، وشدد المؤتمر على ضرورة التأكيد على أن القدس أرض عربية محتلة، للتعبير عن الموقف العربي الواحد والراسخ من عروبة القدس والمطالبة بتمثيل الدول العربية في الاجتماعات التحضيرية للجنة التراث العالمي ودعا المؤتمر والتي شارك فيها وفد فلسطين إلى الاستمرار في تقديم الدعم المالي والمعنوي للمؤسسات التربوية الثقافية والعلمية الفلسطينية، والتعاون مع اللجنة الوطنية الفلسطينية، في تنفيذ المشروعات التربوية والثقافية والعلمية الفلسطينية ذات الأولوية، وحث المؤتمر على مواصلة التعاون مع خبراء عرب في وضع تصور عربي موحد بشأن القضايا المطروحة في اللجنة ودعم الجهود الفلسطينية لوضع القائمة التمهيدية للتراث الثقافي والطبيعي الفلسطيني إعداداً لتسجيله على قائمة التراث العالمي، ووضع كتيبات وأقراص مدمجة حوله للتعريف به وإنشاء موقع له على الإنترنت، وأهمية مواصلة العمل على إقامة المعرض المتنقل لصور الآثار العربية الإسلامية في القدس، ومتابعة اتصالاتها للحصول على تمويلات إضافية لهذا المشروع المهم، كما دعا المؤتمر إلى تكثيف العمل الإعلامي حول القضية الفلسطينية والتهديدات الإسرائيلية لعروبة القدس، والممارسات الإسرائيلية العنصرية ضد الشعب الفلسطيني وأبناء الأراضي العربية المحتلة في الجولان السوري المحتل وجنوب لبنان، أمام الرأي العام العربي والدولي.

وفي مجال التراث الثقافي، فقد أدت هجمة المحتلين الشرسة إلى استهداف وتدمير المواقع التراثية الأثرية في فلسطين، كما هو الحال في تدمير جزء كبير من البلدة القديمة في نابلس وكذلك الخليل وبيت لحم والقدس الشريف، حيث تم هدم مئات المباني الأثرية والدينية، التي تعود إلى العهود الرومانية والإسلامية، خاصة ضد المؤسسات التعليمية والمراكز والأماكن الثقافية في فلسطين وخاصة الآثار في العديد من المدن الفلسطينية، وبصورة أكثر خصوصية تراث مدينة القدس المحتلة (١).

وفي الوقت الذي يوجد فيه من يشيد بعبقرية اليهود ويجعل إسرائيل ضمن الحضارات القديمة الكبرى، يتعرض التراث الفلسطيني للذهب والتلف والضياع ويواجه خطراً محدقاً يتربص بقيمه العلمية والتاريخية، ففي القدس تراث مخطوط يرجع تاريخه إلى عهد الدولة الأيوبية التي ازدهرت في عهدها المدارس والمساجد والكنائس وحركة الترجمة والتأليف وظهرت أول دار عامة للكتب في فلسطين عام١١٤٧م، كما ظهرت في بداية القرن الثامن عشر الميلادي مكتبات عدة تدل عليها

(1) http://www.minfo.gov.ps/Culture/Arabic/20-12-04.htm

عناوين الفهارس الموجودة في فلسطين كفهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية الذي يعود إلى عام١٧٨١ وفهرس مخطوطات المكتبة الإسلامية في جامع يافا الكبير ويرجع إلى عام1812 م، وفهرس المكتبة الخالدية في القدس ويعود تاريخه إلى عام١٩٠٠ وفهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمي في الخليل إضافة إلى بعض المكتبات العائلية التي بدأت بالانتشار من مطلع القرن العشرين.

الإعلان الأمريكي المقترح بشأن حقوق السكان الأصليين

أقرته اللجنة الأمريكية لحقوق الإنسان في ٢٦ فبراير ١٩٩٧ في جلستها رقم ١٣٣٣- الدورة العادية رقم ٩٥ القسم الثالث: التنمية الثقافية مادة ٧ الحق في الحفاظ على الثقافة [١].

- للسكان الأصليين الحق في الحفاظ على ثقافتهم، وتراثهم التاريخي والأثري اللازم لوجودهم وهوية أفرادهم.
- للسكان الأصليين الحق في استرداد ممتلكاتهم التي سلبت منهم – وإذا لم يكن هذا ممكناً – يتم تعويضهم على أساس لا يقل عن معيار القانون الدولي.
- تعترف الدول وتحترم كافة طرق الحياة للسكان الأصليين وعاداتهم وتقاليدهم وكافة أشكال تنظيماتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ومؤسساتهم وممارساتهم ومعتقداتهم وقيمهم وأزيائهم ولغاتهم.

(1) (http://www.umn.edu/humanrts/arab/am9.html

٢- المعارض المحلية والإقليمية والدولية التراثية

يتمتع التراث الشعبي الفلسطيني بمكانة كبيرة في الذاكرة الفلسطينية لما له من أهمية **ترتبط بالتاريخ والجذور والهوية** التي تتعرض للتهويد يوما بعد يوم، ويزداد الخطر على هذا التراث في ظل الظروف الحالية التي يمر بها الشعب الفلسطيني، ومن أجل التعريف بالتراث الشعبي الفلسطيني وحمايته، تنظم المعارض المحلية والدولية، إذ تحتل التوعية والتثقيف بالتاريخ والتراث الفلسطيني أهمية كبيرة في معركة الدفاع عن الأرض الفلسطينية، فالأغنية والصورة والثوب الفلسطيني وغيرها من المعروضات تشكل لوحة فسيفسائية لشعب حي ومؤمن بعدالة قضيته[١].

أهداف المعارض

- كسر البعد الثقافي للحصار المفروض على الشعب الفلسطيني.
- إحياء التراث الفلسطيني والاهتمام به.
- إتاحة الفرصة لفهم أفضل للحياة الفلسطينية.
- التعريف بالتاريخ الفلسطيني وجذور الصراع الدائر في فلسطين.
- التعريف بالمشاكل والمعيقات التي تواجه مسألة إحياء التراث الفلسطيني.

محتويات المعارض[٢]:

- المطرزات الفلسطينية المتنوعة.
- الموسيقى والأغاني الشعبية الفلسطينية.
- أشرطة الفيديو والأقراص المدمجة الخاصة بالتراث الفلسطيني والدبكة الفلسطينية.
- صور الأماكن المقدسة في فلسطين.
- صور لفلسطين عبر التاريخ الحديث.
- صور للمدن الفلسطينية.
- العملة الفلسطينية.
- الحلويات الفلسطينية.
- خرائط فلسطين عبر التاريخ.
- قصائد شعرية، أمثال شعبية وقصص قصيرة للأدباء الفلسطينيين المعاصرين.
- عروض الكترونية عن الحياة الراهنة في فلسطين.

معرض الجامعة الإسلامية "من ضيع التراث ليس له بيننا ميراثا " وتنظم الجامعة الإسلامية معرض التراث الفلسطيني سنوياً تحت شعار "من ضيع التراث ليس له بيننا ميراث"، وتتحول ساحات الجامعة الإسلامية ومرافقها إلى لوحات

---

(1) http://www.najah.edu/english/Youth%20Prog/default.asp

(2) http://youth.zajel.org/ar/galleries4.htm

تراثية، و زاد ذلك أن تصميم مباني الجامعة الإسلامية من الشكل الخارجي مستلهم من واقع التراث العربي الإسلامي والدوافع التي تقف وراء تنظيم معرض التراث الفلسطيني، تتمثل في كون التراث العربي الفلسطيني يشكل جزءاً أساسياً من ذاكرة الأمة العربية والإسلامية، وذلك لأنه يمثل لبنة من لبنات الحضارة الإنسانية بمظاهره الفكرية والمعرفية والمحافظة على التراث الشعبي يظل علماً من أعلام الحضارة الإنسانية، ناهيك عن توعية وتثقيف المجتمع الفلسطيني بكافة فئاته بأهمية التراث الفلسطيني في حفظ الحق التاريخي للشعب والأمة بأسرها [١].

وإبراز دور الجامعة في الحفاظ عليه، علاوة على الحفاظ على الذاكرة الفلسطينية وتوعية وتثقيف المجتمع الفلسطيني بتراثه مع كل ما يحتويه من عزة وفخر، إضافة إلى توطيد علاقة الجامعة بالمؤسسات التراثية، وإظهار إبداع طلبة الجامعة الإسلامية في الحفاظ على التراث وفيما يتعلق بأركان المعرض، يذكر أنها تشمل :المطرزات والملابس الفلسطينية والأثاث الفلسطيني، والمقتنيات الشخصية الفلسطينية، إلى جانب البساط والسجاد الفلسطيني والرسومات، والفخاريات والفنون اليدوية الفلسطينية، وكذلك الأدوات الزراعية المستخدمة في التراث الفلسطيني، وصور حية من العادات والتقاليد الفلسطينية الأصلية وتتضمن فعاليات المعرض العديد من اللقاءات والحلقات الثقافية ذات العلاقة بالتراث الفلسطيني، بحيث تغطي الجوانب الفكرية والمادية للتراث، وذلك من خلال العديد من المحاور الثقافية التي يشتمل عليها المعرض [٢].

وأن التعرف على التراث الفلسطيني يساهم في التعرف على الهوية الفلسطينية، ويدفع باتجاه الاعتزاز بالتاريخ والثقافة الفلسطينية، ويشكل المعرض تواصلاً بين الأصالة والمعاصرة والتأكيد على أهمية مكونات الوعاء الثقافي للأمم، إضافة إلى دور الأجيال الشابة في الحفاظ على التراث وأهمية التعاون بين مؤسسات المجتمع المختلفة من أجل الحفاظ عليه[٣] .

معرض الصور التراثية (طولكرم ١٥ -١٠ -٢٠٠٥)

نظمت وزارة الثقافة والمركز الفلسطيني لتنمية الطفل في محافظة طولكرم، معرض الصور التراثية تحت عنوان: تراثنا وآثارنا بالذاكرة، وذلك ضمن فعاليات أسبوع التراث الفلسطيني الذي تنظمه الوزارة، وأشتمل المعرض الذي أقيم في قاعة

(1) http://www.lahaonline.com/index.php?option=content&task=view&id=9646&sectionid=1

(2) http://www.arabsline.net/vb/showthread.php?t=14185

(3) http://www.iugaza.edu.ps/ara/newsdetails.asp?newsid=702

المركز الثقافي في المدينة على صور فوتوغرافية للمواقع الأثرية القديمة والأدوات التراثية وصور المدن الفلسطينية ولوحات فنية برسم يدوي، وعرض فيديو لقرية كور جنوب طولكرم التي تعتبر قرية أثرية تضم العديد من الآثار القديمة، وأكد المعرض على أن شعبنا يتعرض منذ قرن من الزمان أو يزيد لمحاولات النفي والتغريب والاقتلاع وتشويه إبداعاته المنبثقة من التصاقه بالأرض والتفاعل معها، ويخوض معركة الدفاع والحفاظ على التراث الفلسطيني كفاعل أساسي نحو التحرر وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وتعمل وزارة الثقافة على تشجيع الفرق التراثية الشعبية ودعم مراكز الأبحاث المتعلقة بالتراث بكل أشكاله على امتداد الوطن، وستعتمد الوزارة على وضع قانون جديد يطبق في فلسطين لأول مرة، وهو قانون حماية التراث الفلسطيني، ومن خلال الاتفاقية الثقافية التي تعقدها مع مختلف الدول العربية والأجنبية، وتحرص الوزارة على أن يكون تراثنا العريق وحمايته ونشر التوعية بنداً أساسياً وجوهرياً من هذه الاتفاقيات.

وأن العدوان الإسرائيلي المتواصل على الإرادة الفلسطينية لم يتوقف عن قتل الإنسان واغتصاب الأرض وتهويدها فحسب، وإنما امتد أيضاً إلى نهب وسرقة وتزييف التراث الفلسطيني، وهو ما يعني أن معركة صمودنا على أرضنا وإصرارنا على حقوقنا واستقلالنا وبناء دولتنا، ترتبط جدلياً مع معركة حماية تراثنا ونشره ودراسته[1].

٣- الفرق الفنية التراثية

أ- فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية

فرقة الفنون الشعبية الفلسطينية فرقة راقصة غنائية تستلهم التراث الفني الإنساني عموما والتراث الشعبي العربي - الفلسطيني خصوصا، لبناء أعمال فنية فلكلورية ومعاصرة تعبر عن مشاعر وأحاسيس مبدعيها وتساهم في إحداث التغيير في الإنسان والمجتمع من خلال ممارسة فنية جمالية[2].

تأسست فرقة الفنون عام ١٩٧٩ بجهود مجموعة من الشباب والشابات المبدعين والواعدين عملت هذه المجموعة على تقديم أشكال الفن الشعبي الفلسطيني من موسيقى ورقص، بأسلوب مميز ومنذ ذلك الحين، توجت الفنون الفرقة الرائدة للرقص الشعبي الفلسطيني، ولقد حققت الفنون بين الفلسطينيين في الوطن كما في الشتات، شعبية لم يسبق لها مثيل وباتت أغانيها ورقصاتها يشدوها الفلسطينيون أو يرقصونها في بيوتهم ومدارسهم ومناسباتهم الاجتماعية حاصدة في مسيرتها العديد من الجوائز الأولى وشهادات التقدير المميزة من مهرجانات محلية ودولية.

---

(1)http://www.wafa.pna.net/body.asp?id=67994

(2) http://www.el-funoun.org/arabic/arabic.html

ولعبت الفنون منذ نشأتها دوراً مميزاً في إحياء التراث الموسيقي والراقص التراثي الفلسطيني وتكمن أهمية هذا الدور في وقوفه بمواجهة الممارسات الإسرائيلية الممنهجة لطمس الهوية الفلسطينية وفي هذا السياق فإن الاحتفال السنوي بيوم التراث الفلسطيني والذي بادرت لإطلاقه "الفنون" في العام ١٩٨٦، لهو خير دليل على دورها هذا [١].

وواجهت الفرقة عبر مسيرتها تحديات عديدة، تكمن من ناحية في كونها فرقة فنية راقصة انطلقت من مجتمع تقليدي محافظ قابع تحت الاحتلال ومن جهة أخرى مواجهة الممارسات الإسرائيلية القمعية التي طالت أعضاء الفرقة الذين تعرضوا للاعتقال أو الحرمان من السفر إضافة إلى التمييز ضد المرأة وعدم التجاوب مع مقتضيات التغيير الاجتماعي والثقافي، كل هذه التحديات التي واجهتها الفرقة لم تثنها عن الاستمرار في العطاء والتغلب على كافة الصعوبات إلى أن حازت على تقدير فلسطيني وعربي وعالمي في كل المحافل التي قدمت فيها نتاجها الفني الأصيل [٢].

ومنذ ولادتها، حرصت الفنون على الجمع بين الأصالة والمعاصرة من خلال مزيج من الرقص المستوحى من الفلكلور والرقص المستحدث الخاص بالفرقة، فجاءت أعمال الفرقة معبرة عن روح التراث الشعبي وعن ثقافتنا الحاضرة، ويحوي سجلّ الفرقة أنماط الرقص التراثي (الدبكة) بالإضافة إلى أشكال متنوعة من الرقص، تعكس في تصميمها رؤية الفرقة الخاصة للرقص الفلسطيني المعاصر.

وأنجزت الفرقة ثمانية أعمال فذية في تاريخها الحافل: "لوحات فلكلورية"، "وادي التفاح" "مشعل" "أفراح فلسطينية"، "مرج بن عامر"، "طله ورا طله"، "زغاريد"، و"حيفا بيروت وما بعد" بالإضافة لبعض الرقصات التجريبية التي تسبق كل عمل فني جديد لتحديد مساره.

ومارست الفنون الدور الأبرز بين المؤسسات الثقافية في إحياء التراث الموسيقي والراقص للشعب العربي الفلسطيني، وقد كان هذا الإنجاز ولا يزال مصدر فخر للفرقة إذ أنها من خلال هذا الدور شاركت في التصدي للمحاولات المنهجية من قبل الاحتلال الإسرائيلي لقمع الشخصية الثقافية الفلسطينية ولمصادرة رموز الهوية الفلسطينية، وتؤمن فرقة الفنون في بناء جسور ثقافية مع العالم لتعزيز الحوار الحضاري، ولتبادل الخبرات والأفكار والتقنية الفنية وكذلك لتمثيل الفن الفلسطيني في الخارج رغم محاولات العزل والحصار[٣].

---

(1)http://www.el-funoun.org/arabic/beginning/beginning.html

(2) http://www.alhadafmagazine.com/details/pagehadaedu.asp?idopject=286

(3) http://www.el-funoun.org/arabic/about/about.html

ب- فرقة براعم الفنون:

فرقة براعم الفنون وهي فرقة أطفال ويافعين للفولكلور الفلسطيني من البيرة قضاء رام الله تتضمن ٢٥ راقص متطوّع (ذكور وإناث، تتراوح أعمرهم بين ١٠ و١٥ عاماً)، وقد قامت الفنون بإنشاء هذه الفرقة في ١٩٨٦ من أجل دعم الهوية الثقافية العربية-الفلسطينية وللحد من التهميش والانعزال الذي يعاني منه الأطفال والشباب الفلسطيني عن طريق التعبير الموسيقي والرقص الشعبي وهي تشارك في التنمية الثقافية للمجتمع الفلسطيني من خلال تقديم رقصات تعبر عن الأمل والحياة وتقوم فرقة الفنون بتصميم الرقصات المستوحاة من الدبكة الشعبية وتعكس الحياة في فلسطين، وقد سبق لبراعم الفنون أن شاركت وأدّت رقصاتها في عدد من الأنشطة المحلية والإقليمية والدولية [١].

حفاظاً على إحياء التراث الفلسطيني والفنون الشعبية ونشر الثقافة الوطنية والديمقراطية داخل المجتمع قام عدد من المهتمين بتكوين جمعية خيرية تمثلهم وتنوب عنهم لدى النقابات والمؤسسات الوطنية وغيرها في الداخل والخارج وذلك من خلال الندوات واللقاءات الثقافية والدورات التدريبية والتأهيلية وإقامة برامج توعية لتأهيل الشباب والأطفال بهدف تنمية مواهبهم وإكسابهم الخبرات اللازمة والعمل على تشكيل فريق مسرحي متميز وإنشاء مكتبة ثقافية جادة وغذية ترتقي بالإبداع عن طريق إثراءه وتفعيله ومساعدة الجيل الفلسطيني في هذه الجوانب [٢].

ج- فرقة أصايل للفنون الشعبية الفلسطينية:

تأسست في عام ١٩٩٥ وشاركت في العديد من المهرجانات الدولية منها مهرجان الفن الشعبي باليونان ومهرجان العقبة الثاني بالأردن ومهرجان بابل ٢٠٠٠ و٢٠٠١ بالعراق ومهرجان اليمن بالإضافة إلى مهرجان مسقط ٢٠٠٥ والمشاركة الفعلية بالعديد من المهرجانات المحلية والفرقة تتألف من ٤٧ عضوا ما بين شاب وفتاة وهم من المتطوعين من أجل الحفاظ على التراث الفلسطيني من الاندثار في ظل الاحتلال، وقد أبدعت الفرقة بتقديم ٤ لوحات فنية من الفن الشعبي الفلسطيني وهي لوحة البيادر وعالبال يا حيفا ولوحة الفرح الفلسطيني ولوحة العرس الفلسطيني، والجناح الفلسطيني المشارك بالمعرض الدولي بميدان المهرجان بالعذيبة يلقى إقبالا كبيرا من قبل جميع زوار المهرجان وضيوفه والذين يبدون اندهاشهم بالمعروضات الفنية التراثية الفلسطينية والتي تعبر عن مدى الصمود للشعب

(1) http://www.escwa.org.lb/arabic/main/pal/sevents.html
(2)http://www.capha.org.ps/capha/detalse.asp?dep=about

الفلسطيني بوجه الاحتلال الإسرائيلي والعمل على إحياء هذا التراث من العبث والاندثار والتي تقوم بحياكتها أمهات الأسرى والمعتقلين وأمهات الشهداء [1].

د- **فرقة ليالي بلدنا الفلسطينية**

قدمت الفرق الشعبية لمهرجان عجائب صيف قطر ٢٠٠٥ طابعا ثقافي، من خلال ما تحمله من عروض تراثية، ورقصات معبرة عن الأقاليم والمناطق التي يقدمون منها فنونهم وحركاتهم الشعبية «الدوحة والصيف» العروض الثقافية المستوحاة من عراقة التراث وأصالته، وكانت وقفة العرض الأول مع فرقة ليالي بلدنا الفلسطينية، التي قدمت أجمل عروضها الفنية على مسرح السيتي سنتر وعادت بالجمهور إلى الزمن الجميل في فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلي، وأن الإقبال الجماهيري الملحوظ على الرقصات الفلسطينية والدبكات المتنوعة زاد من حماس أعضاء الفرقة في تقديم المزيد من الفنون الأدائية، فهناك جمهور ذواق ومستمع إلى التراث الفلسطيني وخصوصا السياح الأجانب الذين يتجاوبون مع الدور الفلسطيني في الحفاظ على تراثه، وأن الفرقة شاركت لأكثر من أربعة عروض في قطر والعديد من المهرجانات سواء الثقافية أو الفنية أو الخاصة بالطفولة، والفرقة تحرص أيضا على المشاركة المستمرة، لتحافظ على الجمهور القطري، وأن الفرقة قدمت على مسرح كيوتل بالسيتي سنتر ست لوحات شعبية مستوحاة من التراث الفلسطيني هي: الدبكة الشمالية والدبكة الشعراوية، والطيارة، ودبكات السواحل بالإضافة إلى اللوحات الوطنية، والتي يطلبها الجمهور القطري والعربي كثيرا، كما تقدم هذه الفرق عروضها في أزيائها الشعبية المعروفة بالزي «القمباز» أو «الدماية» الفلسطينية [2].

مركز عمارة التراث

يعني مركز عمارة التراث الذي تأسس عام ٢٠٠٠ بالجامعة الإسلامية بالحفاظ على الموروث الثقافي المعماري، من خلال عمليات الترميم الممنهجة وبرامج التوعية المجتمعية وكذلك يهدف المركز إلى توعية الإنسان الفلسطيني بموروثه الثقافي المعماري وبأهميته الحضارية والتاريخية حرصاً على بقاء الهوية التاريخية للأرض والمكان، ويعمل فريق المركز منذ النشأة على انجاز فكرة أرشيف يضم المعلومات الأساسية عن المعالم والمواقع التاريخية والأثرية لقطاع غزة، ويحتوي هذا الأرشيف على مجموعة من البيانات التوثيقية والصور الفوتوغرافية

(1)http://www.mctmnet.gov.om/mainsite/webservices/mmnews/read_news_item.asp?ID=1250

(2) http://www.al-watan.com/data/20050720/index.asp?content=local2

والمخططات التي تصف المبنى الأثري من حيث موقعه الجغرافي وحالته الإنشائية والأضرار الواقعة عليه.

ويهدف المركز إلى الحفاظ على المناطق التاريخية من خلال عمليات الترميم المعماري والتأهيل الحضري للموروث الثقافي المعماري و تكوين قاعدة فنية للترميم المعماري في قطاع غزة، تحتوي على الخبرات والأجهزة اللازمة لإعداد الدراسات والمشاريع وتأسيس أرشيف لتوثيق وتسجيل المباني التاريخية في قطاع غزة ونشر الوعي الثقافي بالمحافظة على الموروث التاريخي الفلسطيني[1].

(1) http://www.iugaza.edu.

برنامج زاجل للتبادل الشبابي الدولي:

تأسس البرنامج عام ٢٠٠١ في دائرة العلاقات العامة في جامعة النجاح الوطنية من أجل تطوير الأداء الإعلامي الفلسطيني الناطق باللغة الإنجليزية، وقد أطلق على البرنامج هذا الاسم (زاجل) لما تتضمنه هذه الكلمة من مدلولات تاريخية وثقافية، كما أنها تتضمن جوهر المهمة التي أسس من أجلها هذا البرنامج، وهي إيصال الرسالة الإعلامية الفلسطينية إلى الغرب بشتى الوسائل المتاحة، والتي تصب في سبيل إطلاع الغرب على حقيقة الأوضاع التي يمر بها الشعب الفلسطيني بعيداً عن التشويه الإعلامي الذي تقوم به العديد من الوسائل الإعلامية الغربية [١].

أهمية أحياء التراث

أن الوعي بالتراث وإحيائه، لا أن نعود بحاضرنا ومستقبلنا فنصبهما في قوالب الأمس البعيد ولكنه يعني:

- أن نبصر جذور الغد الذي نريده مشرقاً، في الصفحات المشرقة من التراث.
- وأن نجعل العدل الاجتماعي –الذي نكافح من اجله- الامتداد المتطور لحلم أسلافنا بسيادة العدل في حياة الإنسان.
- وأن نجعل "العقلانية المؤمنة" في تراثنا زاداً طيباً وروحاً سارية تفعل فعلها في يومنا وغدنا فبذلك يصبح تراثنا روحاً سارياً في ضمير الأمة وعقلها، تصل مراحل تاريخها،وتدفع مسيرة تطورها خطوات وخطوات إلي الأمام، وبذلك وحده يصبح التراث طاقة فاعلة وفعالة وليس "ركاماً" [٢].

ولعل من المظاهر القوية لهذه الصحوة: الإقبال الكبير على تحقيق النصوص التراثية ونشرها تتعاون في ذلك المؤسسات الجامعية والعلمية والتجارية، ورغم أن ذلك يتم بصورة عشوائية إلى حد ما، من حيث عدم الوضوح الاستراتيجي، وعدم تقديم الأولويات، بل عدم الاتفاق علي قواعد نشر محددة فان ذلك سيؤدي حتما إلي تكامل المكتبة العربية القديمة، مما يهيئ المجال أمام الباحثين القيام بدورهم في التحليل والتركيب، بغيه وصل الحاضر بالماضي وفي الوقت نفسه دفع الحاضر إلي الأمام للحاق ببقية المتسابقين بالاعتماد على تقوية الجذور وتحديد الهوية خوفاً من الضياع [٣].

---

(1)http://youth.zajel.org/ar/galleries4.htm

(٢) محمد عمارة. **التراث والمستقبل**. ط٢ (القاهرة: دار الرشاد، ١٩٩٧) ص ٥.

(٣) أكرم العمري.**مرجع سابق**. ص٣٧.

وإحياء التراث تجميعاً يضعه تحت مجهر البحث والتحليل، لا تكديساً يحنط في متاحف التبرك والتقديس، وذلك يقتضي الجد للتوسع في وضع مزيد من الفهارس الوصفية (البيبليوغرافية) للمخطوطات العربية، وأماكن وجودها في مكتبات العالم، وتيسير الحصول على صور منها للباحثين واستخدام تقنيات العصر الالكترونية من حواسيب ووسائل اتصال لتسهيل ذلك والانتقاء من التراث حسب مناهج ترتيب الأولويات فتقدم العلوم التي مازالت تنبض بالحيوية، وتدعو الحاجة إليها.

وإعادة بناء التراث وهو الهدف الأسمى، الكبير والنهائي من تحقيق التراث، ويمكن أن يجري على مراحل[1]:

أولاً: وضع فهارس موضوعية شاملة على أحدث طرق الفهرسة التي تقوم على إيجاد مكنز عربي موحد يتضمن رؤوس الموضوعات لكافة العلوم، مع تفريعاتها، وتطبيق هذه المكانز، على جميع كتب التراث.

ثانياً: بناء قاعدة معلومات تلم شتات التراث، على ضوء هذه المكانز، تقدم المعلومات للباحثين موضحة مراجعها ومكان وجودها.

ثالثاً: اختزال التراث على شكل موسوعات في كل موضوع على حدة، تقدم المعلومة معجمياً بعد غربلة المعلومات لاستخلاص أصحها وأوثقها، وتخليصها من التكرار والخطأ والتناقض.

المجال الاجتماعي والثقافي

ولربط أبناء الجالية بثقافة الوطن والمحافظة على الرصيد الحضاري والتراثي لشعبنا وتداعياته مع احترام المجتمعات المضيفة عبر[2]:

- إقامة معارض عن التراث الفلسطيني.
- نشر ثقافة العودة والاستفادة من المؤسسات الثقافية القائمة كدار الشجرة للذاكرة الفلسطينية التي يتركز نشاطها على الشباب والأطفال والجيل الذي ولد خارج فلسطين لتقدم له معلومات عن فلسطين وعن الثقافة الفلسطينية وعن تجربة شعبنا الفلسطيني وكيفية خروجه من فلسطين وتجربة اللجوء التي عاشها أبناؤه، وكيف استطاعوا ترجمة هذه المعاناة إلى فعل نضالي يومي يعيش معهم باتجاه حلم العودة وبناء الوطن الكبير الذي نسعى لتحريره كفلسطينيين.
- تنظيم أمسيات شعرية وأدبية فلسطينية خاصة بإبداعات أبناء الجالية.

---

(1)http://www.alghad.jo/?news=33551

(2)http://www.amin.org/views/uncat/2004/dec/dec235.html

إحياء المناسبات الثقافية ذات الدلالات المرتبطة بواقع شعبنا مثل يوم التراث الفلسطيني (٦ تشرين أول/أكتوبر) و يوم الأرض (٣٠ آذار/ مارس) و يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني (٢٩ تشرين ثاني/نوفمبر).

- تنظيم رحلات متبادلة بين الأجيال الشابة من وإلى فلسطين[١].

أهمية الأرشيف [٢]

عمل مركز الفن الشعبي منذ الأول من تشرين الثاني لعام ١٩٩٤ على جمع الموسيقى والأغاني الشعبية الفلسطينية، وذلك بهدف توثيقها وأرشفتها، من أجل الحفاظ عليها من ناحية وتمكين المؤسسات الثقافية المختلفة (مثل الجامعات والمعاهد ومراكز الأبحاث والفرق الفنية المختلفة وغيرها) من استخدام هذه المادة في الدراسة والبحث في مجال الفلكلور الفلسطيني والثقافة الفلسطينية من ناحية أخرى.

وتكمن أهمية هذا المشروع في أنه يحفظ التراث الفلسطيني من عملية الاندثار والضياع التي يتعرض لها بفعل عوامل مختلفة، فهناك محاولات الاحتلال الإسرائيلي المستمرة لطمس معالم الهوية الفلسطينية من خلال طمس تراث الشعب الفلسطيني وسرقته وتجييره لصالحه وبالمقابل هناك تخوف من ضياع هذا التراث بفعل تقادم الجيل الأول وتعرضه لنسيان هذا التراث أو للوفاة آخذين بعين الاهتمام التغيير الذي جرى على نمط المناسبات الاجتماعية في المجتمع الفلسطيني.

محتويات الأرشيف الإلكتروني للتاريخ الشفهي

وقد أنجز طاقم العاملين في المشروع ما مجموعه ٢٢٠ ساعة تسجيل تشمل الأغاني والموسيقى التقليدية للمناسبات الحياتية المختلفة من أنحاء فلسطين كافة، فضلاً عن مجموعة من الصور الفوتوغرافية وتسجيلات الفيديو والتي تم توثيقها طوال فترة البحث وتم الاحتفاظ بهذه المواد على أشرطة مشفرة (DAT) بالتعاون مع مركز التدريب الإذاعي في جامعة بيرزيت.

وتم إنشاء المكتبة السمعية في المركز ليتم حفظ هذه المادة القيمة إذ تعد الأرشيف الوحيد للموسيقى والأغنية الشعبية الفلسطينية، ويحتوي الأرشيف في المكتبة السمعية البصرية على تسجيلات صوتية تتضمن مقطوعات من الزجل الشعبي، وأغاني المناسبات الاجتماعية والآلات الشعبية الموسيقية والأناشيد الدينية والأغاني النسائية الشعبية، إلى جانب أشرطة فيديو تحتوي تسجيلات لمقطوعات من مناسبات اجتماعية ومقطوعات غنائية وموسيقية لفنانين أفراد.

---

(1) http://www.arabmail.de/DrHamam_Articlel23.12.04.html

(2) http://www.popularartcentre.org/arabic/activities/activities.html

قامت مؤسسة "شمل" بتصميم قاعدة معلومات متخصصة في الأرشيف الإلكتروني للتاريخ الشفهي و هو يضم مواد مشتركة جمعت من قبل أفراد باحثين ومؤسسات بحث تغطي التجربة التي عاشها اللاجئون المهاجرون الفلسطينيون، و هذا يتضمن مطبوعات وأوراق ومخطوطات تسجيلات رقمية وأخرى عادية analogue والأرشيف الإلكتروني للتاريخ الشفهي متاح للباحثين بهدف الحفاظ على التراث الفلسطيني وتحليله وتأسيس أرشيف للصور يقوم مركز شمل بجمع صور فلسطينية عن حياة الفلسطينيين في اللجوء والشتات [١].

تراث القدس

إن القدس كمدينة تاريخية ليست للمتدينين فقط بل هي مشتركة الاهتمام لكل من يعرف معنى البحث والمعرفة ونحن نهتم بأي إنتاج علمي سواء كان تاريخيا أم فقهيا أم جغرافيا، وهناك أيضا اهتمام بأمكنة أخرى مثل غزة، أما في شأن الرحلات الجغرافية فقد حققت مخطوطة فريدة هي "الرحلة القدسية عند زيارة المولوية" لمؤلف مجهول وهي ضمن مجموع في المكتبة البديرية وهناك عمل على تحقيق عدد من المخطوطات منها الجامع المستصفي في فضائل المسجد الأقصى ومفتاح المقاصد ومصباح المراصد في زيارة بيت المقدس، وهناك ميل لدراسة رحلات البكري الصديقي مدينة القدس حتى الآن وبالرغم مما تعرضت له من دراسات إلا أن البحث العلمي مقتصر فيها على نواح محددة، والكشف عن التراث العربي الإسلامي فيها هو واجب حضاري وأخلاقي علينا، وما صدر ويصدر هو نسخ مكرر من غير المختصين، ونطمح إلى تأصيل الجهود العلمية والابتعاد عن العواطف والتركيز على الدراسات العلمية والمنهجية [٢].

ويوجد أكبر مكتبة مخطوطات مصورة في فلسطين سواء مكتبات العائلات ومنها عائلة البديري والخطيب والسائح وغيرها، أو ما تم العثور عليه في المكتبات والمساجد والمدارس القديمة ، وربما يكون الخروج من هذا المأزق في مجال تكنولوجيا المعلومات التي تمكننا عبر الانترنت من التواصل مع الباحثين وتزويدهم بالوثائق عبر مزود البحث الالكتروني وإدخال كافة الوثائق على أقراص ممغنطة ليكون من السهل تداولها [٣] والمزيد من الجهد والإخلاص كافيان لإخراج آلاف الحقائق الجديدة عن تراث القدس وغيرها من المدن الفلسطينية، والسعي والعمل

---

(1) http://www.shaml.org/arabic03/database_arb/

(2) http://www.alghad.jo/?news=33551

(3)http://www.alghad.jo/?news=33551

وراء التقاط ما فُقد وضاع وتشتت وأهمل في محاولة لإعادة بناء المدينة المقدسة عبر الوثائق والقيود والسجلات لمواجهة عِلم المحتل بعلم أهل الوطن.

ونظمت ندوة في القاهرة حول القدس في الأرشيف العربي عام ٢٠٠٥ هدفت إلى تسليط الأضواء على وثائق القدس ومخطوطاتها سعياً وراء العمل العلمي الجاد وبعيداً عن السياسة وهذا العمل هو الذي جعلها كندوة تلقى احتراماً كبيراً فلأول مرة تقوم مؤسسة فلسطينية باستضافة الناس بندوة عالمية تتخصص بوثائق القدس ومخطوطاتها [١].

وأوصى مثقفون ومسئولون وخبراء فلسطينيون في ندوة "المشروع الثقافي الفلسطيني وإستراتيجيته المستقبلية" عام ٢٠٠٣ بوضع "خارطة مفاهيم لعناصر الثقافة الفلسطينية" وتفعيل مشاركة المبدعين الفلسطينيين في ندوات وأنشطة تدعم مشروع الثقافة الفلسطينية، وأصدر مثقفون ومسئولون فلسطينيون بالقاهرة "بيان القاهرة حول الثقافة الفلسطينية" في ختام ندوة "المشروع الثقافي الفلسطيني وإستراتيجيته المستقبلية" التي نظمها المجلس الأعلى للتربية والثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية بدعم من وزارة الثقافة المصرية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وناقشت الندوة تجربة العمل الثقافي الفلسطيني في الداخل والخارج في المرحلة السابقة وملامح خطة المستقبل من خلال عدد من المحاور من بينها (حماية الآثار والمتاحف والممتلكات الثقافية الفلسطينية ورعايتها وتطويرها) و(الثقافة ومعركة الدفاع عن الشخصية والحقوق الوطنية) و(الثقافة ومناهج التعليم) و(الثقافة الفلسطينية والتكامل الثقافي العربي)[٢].

ثانياً: ممارسات الاحتلال الإسرائيلي لمحو التراث

محاصرة الثقافة العربية الفلسطينية

رغم الحرص على الحضور الثقافي الفلسطيني، بكل محاولاته الفردية بعد النكبة عام ١٩٤٨ والتي لم تكن قد دخلت العمل المؤسسي بعد، إلا أنها أحدثت صدى داخل فلسطين وخارجها لتتجاوز حدود الوطن الجغرافي وتنطلق معها حالة المثقف الفلسطيني في داخل أذحاء الوطن المذكوب وخارجه وهجرته الإجبارية داخل فلسطين التي احتلت بعد ذلك عام ١٩٦٧م وكان لمعظم المثقفين في الشتات عطاء متميز أثر في المثقفين العرب وأجج تعاطفهم مع النكبة التي ألمّت بفلسطين، لقد كانت" النكبة الفلسطينية عام ١٩٤٨م، بما أحدثته من هزّات نفسية وجسدية مدمرة،

---

(1) hhttp://www.alghad.jo/?news=33551

(2)http://www.shaml.org/arabic03/database_arb/

أول حدث يمكن وصفه بكل دقة بأنه نقطة تحول في الأدب العربي الحديث على صعيد العالم العربي بأسره [١].

وشنت إسرائيل منذ احتلالها فلسطين عام ١٩٦٧م حرباً ثقافية بأشكال ومظاهر متعددة وممارسة غزواً ثقافياً هدفت من وراءه مسخ الشخصية العربية الفلسطينية والهوية الثقافية للشعب الفلسطيني وصار الاحتلال في تعامله مع الفلسطينيين في خطين متوازيين هما الإبادة البشرية والثقافية وهما يحققان هدف واحد، الأولى تعني التخلص من المواطنين الفلسطينيين بالقتل والثانية تعني مسخ الشخصية الفلسطينية واستخدم كافة الأساليب من ضمنها أجهزة الإعلام والحرب النفسية، وأما الحرب الثقافية الهادفة إلى ضرب المقومات الأساسية للشخصية الوطنية الفلسطينية عن طريق توجيهها ضد الثقافة الفلسطينية ولم يوفر الاحتلال أي وسيلة قمعية ضد الثقافة الفلسطينية ولم يقدر على طمسها كلياً وتجريد الشعب الواقع من مقومات هويته الوطنية وفي مقدمتها الاعتزاز الثقافي [٢].

ودخل المثقف الفلسطيني في حالة جديدة من المواجهة الثقافية مع العدو الصهيوني اختلفت فيها وسائل الحفاظ على الهوية الثقافية الفلسطينية، لكنها في النهاية حافظت على حلم العودة والتمسك بالوطن ومقدساته وكل ما فيه، وهناك مرحلة جدية من مراحل المواجهة تمثلت ب"الحصار" الثقافي الذي جاء امتدادا لمعركة فيها من الحصار السياسي والعسكري والفكري ما فيها، فلقد حُرِمَ الفلسطينيون في فلسطين المحتلّة عام ٤٨ من الكتاب العربي بعّامة، والفلسطيني بخاصة، وفي المناطق المحتلة عام ٦٧ اختفت المكتبات القليلة لأن المحتل الصهيوني حارب الثقافة الفلسطينية، وكما قطّع الأرض الفلسطينية، ومزّق الشعب الفلسطيني بغرض تدمير الشخصية العربية الفلسطينية [٣].

ولقد أدركت الحركة الصهيونية منذ نهاية القرن التاسع عشر حاجتها الملحة إلى صياغة مشروع ثقافي خاص بها في إطار المشروع الثقافي الاستعماري الأوروبي ثم الأمريكي [٤].

---

(1) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٢) تيسير أبو عرجه. **الإعلام والثقافة العربية**. الموقف والرسالة. ط١ (عمان: دار مجدلاوي، ٢٠٠٣)ص٢١١.

(٣) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٤) عواطف عبد الرحمن.**الصحافة العربية في مواجهة الاختراق الصهيوني**(القاهرة:دار الفكر العربي،١٩٩٥) ص١٤٧– ١٥٧.

نتائج الحصار للثقافة الفلسطينية من قبل الاحتلال الإسرائيلي

وإذا كان الصهاينة قد وضعوا خطتهم لاقتلاع الثقافة الفلسطينية ومحاربة المثقفين الفلسطينيين فإنّ التطبيق العملي لهذه الخطط وما دعمها من قوة، ومواصلة لهذه الخطط من كافة الأحزاب الصهيونية التي تعاقبت على المؤسسة الحاكمة فيه، كان من الطبيعي أن تتراجع الحركة الثقافية من جديد، وسط حرب متواصلة، فلقد تراجع وبشكل ملحوظ الإنتاج الثقافي الفلسطيني بمختلف أشكاله نتيجة إجراءات الاحتلال الإسرائيلي التعسفية ضد الشعب الفلسطيني كما تأثرت الساحة الثقافية الفلسطينية والمثقف الفلسطيني بما يجري على الأرض من انتفاضة فلسطينية وما يتم التصدي لها من قبل الصهاينة، فكان أن انخفض حجم المطبوعات الثقافية خلال انتفاضة الأقصى عام ١٩٨٩م - نتيجة الإجراءات الإسرائيلية- إلى أكثر من ٦٠% وانخفض أيضاً الطلب على الكتب نتيجة الضائقة الاقتصادية التي يمر بها الفلسطينيون .

وهكذا تراجع الإبداع الثقافي الفلسطيني رغما عنه، وصار يبحث عن مجالات تفتح الفضاء الثقافي أمامه بعد أن حجب دخانُ الاحتلال كثيرا من الطموحات الثقافية الفلسطينية وكان الحصار الخانق الذي يمارسه الاحتلال سبباً إضافياً لسد الآفاق في المدى المنظور وهكذا توقف إلى حد كبير إنتاج الكتب وإقامة المعارض وغيرها من الأنشطة الثقافية وتوقفت بعض المجلات الثقافية عن الصدور بسبب صعوبة التوزيع والأزمة المالية، وتعرض المكاتب للتدمير(١).

والتراث العربي الفلسطيني يعيش في ظل الاحتلال الصهيوني في حالة صدام مستمر بين ثقافتين تعبران عن مشروعين يتناقضان بصورة جذرية، المشروع الصهيوني والمشروع القومي العربي ويسعى كل منهما لنفي الآخر (٢).

نحو ثقافة فلسطينية فاعلة

لا بدّ من التفكير جماعياً لاستنباط وسائل تسهّل التواصل بيننا وبين شعبنا حيثما كان ثمّة إمكانيات تتفتح لنا يمكن استغلالها للتغلّب على بعد الأمكنة بيننا، وصعوبة العوائق التي يخترعها الاحتلال الصهيوني للتفريق بيننا، والانترنت أحد هذه الوسائل الجبّارة، فالثقافة الفلسطينية تمر في منعطف خطير في وسط غريب، والحرب الصهيونية عليها والحصار المبرمج والمتواصل يبعث أسئلة عن الدور المطلوب من المثقفين العرب، ومن المثقفين الفلسطينيين، والدور المطلوب من الأمة

---

(١) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٢) عواطف عبد الرحمن. ١٩٩٥. **مرجع سابق**، ص١٤٧ – ١٥٧.

جميعها كي تحافظ على الهوية الثقافية الفلسطينية التي تعتبر جزءا مهما من الهوية الثقافية العربية والإسلامية ونتساءل عن الثقافة الفلسطينية في ظل هذا الحصار، كيف ستجد حضورها إلى الساحة من جديد[١].

الاختراق الثقافي الصهيوني

لقد تمكنت الصهيونية بعد اقتلاع الشعب الفلسطيني من وطنه وتوسعها واحتلالها لأراضٍ عربية جديدة بعد حروب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، من تشويه التراث العربي الفلسطيني بما انتحلته لنفسها على كافة المستويات الثقافية من فولكلور فلسطيني وصناعات حرفية شعبية وملابس مطرزة ومآكل، وأصبح الإنتاج الثقافي الفلسطيني عرضة لأن يتحول إلى تراث ثقافي صهيوني طالما بقي الاحتلال الصهيوني على أرض فلسطين، ورغم أن مشروع الغزو الثقافي الصهيوني يطال الوطن العربي كله إلا أن ساحة الصدام الأساسية بين الثقافتين العربية والصهيونية تتمركز على أرض فلسطين والمناطق العربية المحتلة[٢].

كما أنّ مسلسل الحصار الذي تتابعت فصوله وحلقاته، لم يكن مفرّ غا من الأهداف، بل جاء عبر إجراءات مدروسة، ووسائل كثيرة تؤدي في النهاية غرضها في أن تحاصر المثقف الفلسطيني كي يصاب باليأس، وتصبح الهوية لا تجد من يرسم ملامحها، أو تجد من يعبر عن ذات أحلامها وطموحاتها، وآلامها وآمالها، ولذلك تواصل تطبيق هذه المخططات فلقد تعرضت دور النشر للمداهمة، ووُضعت قيود على استيراد الكتب وتمت مداهمة المؤسسات الثقافية إضافة إلى انعدام الأمن والتعرض للمثقفين والحياة الثقافية كلها، ومنع إدخال المواد الخام، كما أن الإجراءات الإسرائيلية المشددة على المعابر تمنع التواصل الثقافي مع العالم العربي والإطلاع على أحدث الإصدارات، ولم يقف الأمر عند هذه المؤسسات الثقافية ودور النشر بل امتد إلى الجامعات الفلسطينية، ولقد واصلت قوات الاحتلال اعتداءاتها على الجامعات الفلسطينية وأغلقت بعضها مما عطل إقامة المؤتمرات والندوات العلمية وتطوير أدائها [٣].

وأمام الجرائم الفظيعة التي ارتكبتها إسرائيل في حق الشعب الفلسطيني المسالم، بات من المسلم به أن الكيان الصهيوني ليست له تقاليد حضارية فهو لا يعترف بأي ميثاق أخلاقي ولا يحترم أبسط حقوق الإنسان، نزعت الدولة العبرية إلى حرمان المواطن الفلسطيني من ثقافته وطمس تراثه الثقافي ونهب مكتباته

---

(١) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٢) عواطف عبد الرحمن. ١٩٩٥. **مرجع سابق**، ص١٤٧ – ١٥٧.

(3) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

ومخطوطاته وكتبه، وصادرت حقه في التعلم وفي الوصول إلى المعلومات، لذا بات من الأكيد على المثقفين العرب التحرك العاجل لفضح جرائم إسرائيل الدموية وعزلها عن الساحة الدولية في المنظمات غير الحكومية وخاصة تلك التي لها علاقة بالنشاط الثقافي والعلمي، ومن هنا ولهذا الغرض يعمل المكتبيين العرب على الاتصال بالمنظمات المكتبية الدولية [١].

بل إن الحصار الصهيوني قد امتدت أذرعه إلى المعتقلات فكان الحصار الثقافي هو العنوان الأبرز الذي تمت به مواجهة المثقف الفلسطيني داخلها، وعمل الصهاينة على تفريغ المعتقلات الفلسطينية من أي عطاء إبداعي، وحرصوا أن لا يكون في الاعتقال إلا ما يهدد الهوية الثقافية للإنسان الفلسطيني بشكل عام، والمثقف بشكل خاص، وهناك كانوا على موعد مع كل أشكال الحرب ولم تكن الحرب الثقافية بمعزل عما يجري فقد فرضت سلطات السجون حصاراً ثقافياً على الأسرى إذ شمل منعهم من الحصول على القلم والدفتر والكتاب وإجبارهم على سماع الإذاعة الإسرائيلية في أوقات محددة، ولم يُسمح للأسرى بقراءة الصحف سوى صحيفة الأنباء التي كانت تصدرها أجهزة المخابرات الإسرائيلية وكان الأسرى يمنعون من اقتناء الكتب الوطنية والثقافية، ومارست سلطات السجون سياسة الإفراغ الثقافي والفكري من خلال ترويج كتب ثقافية فارغة المضمون داخل السجون[٢].

كما بذل العديد من هؤلاء المستشرقين جهداً لطمس الحقائق العربية الفلسطينية متخذين من الفنون الشعبية وسيلتهم التي استخلصوها أو حاولوا استخلاصها من الحفريات الأثرية مثل (ميشيل ناؤو وبيشوب بوكوك وبوركهات)، وما نشره هيل سنة ١٨٨٥ بعنوان " جبال سيناء وغرب فلسطين " درس فيه عادات البدو والفلاحين [٣].

وعلى الرغم من أن نصيب فلسطين من الدراسات والبحوث الفلكلورية كان نصيباً لا بأس به من جانب المستشرقين المغرضين الذين هبوا جميعاً في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يحدوهم الأمل في طمس هوية هذا الشعب العربي الفلسطيني أو إظهاره وكأنه بدون ملامح، ومحاولة التشكيك في أصالته، علماً بأنه الشعب الوحيد الذي استمر على أرضه دون انقطاع منذ ما قبل التاريخ وحتى اليوم [٤].

---

(1) http://www.afli.org/sa71.html

(2) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٣) لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني. **مجلة التراث والمجتمع**. مجلد١.ع٢ (البيرة:، ١٩٧٤) ص٢٩.

(٤) سليم المبيض. ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية. **مرجع سابق**، ص٨.

وفي سبيل ذلك اندفع العديد من الصهاينة ومن يدور في فلكهم باتخاذ أساليب شتى وتحت عناوين مختلفة منها الدراسات والحفريات الأركيولوجية وأهمها ما أسموه "مساحة غرب فلسطين **"survey of western Palestine"** بقيادة "كوندو وكتشنر " في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ثم بعثات (فلندرز بتري وستاركي) [١]، وكذلك لجنة صندوق اكتشاف فلسطين **"!! Palestine exploration fund"**.

وهكذا بدأت هذه الحملة بإطلاق مسميات جديدة (غرب فلسطين) و(شرق الأردن) أو (فلسطين الشرقية) بتأثير ديني مستوحى من التراث اليهودي وكان على رأس هؤلاء اللاهوتي الاسكتلندي (جورج آدم سميث)[٢].

ولعل (هيلما فرانكفست)، التي قدمت لفلسطين في عام ١٩٢٥ م ما يوضح ويكشف مغزى ومرمى هذا الحشد من الدارسين نحو التراث الشعبي الفلسطيني بعد أن قامت بدراسته جميعا دراسة دقيقة، وعندها استرعى انتباهها بأن هؤلاء المستشرقين جميعا كانوا يهدفون بدراساتهم هذه الحياة الشعبية في فلسطين وتلك التي صورت في كتاب العهد القديم كدراسة تمهيدية للهجة الصهيونية بهدف بيان العلاقة بين اليهود وفلسطين [٣].

وتسعى النخب الحاكمة في إسرائيل وتدعمها المراكز الثقافية والأكاديمية الإسرائيلية والصهيونية حول ضرورة فتح الحدود بلا شروط أمام التبادل الثقافي والتعليمي والإعلامي وعلى الأخص الإعلام المرئي والمسموع حيث يسمح ببث البرامج الإعلامية والثقافية الصهيونية في الإذاعات المرئية والمسموعة في الوطن العربي، ويضاف إلى ذلك ضرورة مراجعة مناهج التربية والتعليم وحذف كل المقولات العدائية عن الصهيونية وإسرائيل[٤].

والذاكرة الفلسطينية مثقلة بالأنين، وتحاصرها ويلات المحتل، وإذا مطبعة واحدة في بيت المقدس- مطبعة جورج حنانيا- تطبع في الفترة الواقعة بين عامي ١٨٩٢ و١٩٠٩ مائتين وواحداً وثمانين كتابا بالعربية وبعض اللغات الأوروبية، لا نجد لها أثرا غير ذكر أسماء تلك الكتب، فقد جنت تلك المأساة المروعة على تراث فلسطين الفكري والأدبي بعد جنايتها على مئات الألوف من أبناء البلاد واضطر العلماء والأدباء والمفكرون إلى الهجرة من فلسطين إلى الأقطار الشقيقة مخلفين وراءهم ثمار عقولهم ونتاج فكرهم، ومكتباتهم الخاصة الحافلة بأمهات الكتب وأعظم

---

(١) سليم عرفات المبيض. **غزة وقطاعها**(القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، ١٩٨٧) ص ٣٧١_٣٧٢.

(2)G. A.. **Smith Historical Geography Of The Holly Land**, London, 1968, p47.

(3)hilme granquist. **marriage conditions in a palestinian village** , helsingfore, 1931 , p7.-9

(٤) عواطف عبد الرحمن. قضايا إعلامية معاصرة في الوطن العربي. **مرجع سابق**، ص ٤٣.

المصادر في اللغة والأدب والتاريخ والشريعة ولا نقول إنها ذهبت مع الريح ولكن ذهبت بين أحذية المحتل ورصاصاته المجنونة الحاقدة [١].

وإدراكاً منها للوزن التاريخي والحضاري والسياسي الذي تشغله مصر في العالم العربي وخوفا من الآثار السلبية التي سوف تنعكس على مصالح الحركة الصهيونية ونشاطها في فلسطين بذلت الحركة الصهيونية، وتطلعاً إلى تحقيق هذا الهدف الإستراتيجي لجأت الحركة الصهيونية إلى استثمار إمكانيات ونفوذ الطائفة اليهودية بمصر لخلق قاعدة صلبة للنشاط الصهيوني داخل المجتمع المصري ولقد برزت العلاقة الوطيدة بين يهود مصر والحركة الصهيونية في المجال الثقافي، وتمثلت في ازدياد الاهتمام بفلسطين من ناحية والعمل على إحياء الثقافة العبرية بكافة السبل والوسائل من ناحية أخرى، وفي إطار هذا الاهتمام نشطت أوساط المثقفين اليهود في مصر في إنشاء العديد من التجمعات الثقافية منها النادي المصري واتحاد المدارس اليهودية وجمعية هرتزل لتشجيع الثقافة العبرية ونشرها بين يهود مصر[٢].

ولم تكن الحرب الصهيونية على الشعب الفلسطيني لتتوقف عند الرصاصة والقنبلة، بل تجاوزتها إلى "حرب وجودية" أخرى تتعلق بالهوية الثقافية لهذا الشعب، ولأن أهداف المعركة لدى العدو الصهيوني كانت واضحة في "أجندته" منذ البداية على المدى القريب والبعيد، لذا لم يكن غريبا أن يتم خنق الإبداع الفلسطيني ومحاصرته، بل والتخلص منه منذ اللحظة الأولى وكلما سنحت الفرصة لذلك بشتى الوسائل والسبل[٣].

وإن أي تراث شعبي لأي قطر لم يتعرض لمحاولات الإهدار والبعثرة المتصورة مثلما تعرض أدبنا الشعبي الفلسطيني تحت الاحتلال، فالنظرية الصهيونية تقول: بأن (لا وجود للشعب الفلسطيني) وبقاء التراث الشعبي هنا يشكل بحد ذاته نفياً تاريخياً قاطعاً لأصول هذه النظرية وإن الشعب الفلسطيني لم يبق في مجمله فوق أرضه بل شرد وشتت وفي هذا خلع لجذور التراث والأدب الشعبي الفلسطيني وذلك أن كل أدب وتراث شعبي مثله مثل الأشجار التي لا تنمو إلا في تربة معينة ومناخ ملائم لها وعندما تنفصل عن تلك الشروط تنقطع عن الحياة **والاكتمال[٤].**

إن منظومة التراث هي أهم الشواهد الحقيقية على إثبات الهوية للشعوب، والدفاع عن التاريخ الضارب في عمق الأرض، وهو دفاع عن الحضارة والفكرة

---

(١) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٢) عواطف عبد الرحمن. الصحافة العربية في مواجهة الاختراق الصهيوني. **مرجع سابق**، ص١٤٧ – ١٥٧.

(3) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(٤) محمد عبد السلام كفافي. **دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي** (بيروت: د.ن، ١٩٨٢) ص٤٢.

والمستقبل أيضاً والتراث الفلسطيني الذي يعاني مرحلة حرب وتقلص وسرقة ونهب يعاني في الوقت الحالي من أزمة ينطوي عنها أزمة في الحقوق الفلسطينية أولا وأزمة في إثبات الهوية الفلسطينية الفكرية والثقافية والسياسية أيضاً، لأن التراث والتاريخ الفلسطيني أغنى مقومات عدالة القضية الفلسطينية والسلاح الأقوى في المعركة الدائرة مع العدو الصهيوني الذي لا يتوانى لحظة عن نهب هذا التراث وتشويه معالمه ومحاولة سلخ الشعب عن هويته التاريخية الأصيلة [١]، ويواجه التراث الشعبي خطر التلاشي أمام تيار الحضارة العصرية الجارف بسبب طغيان الجانب المادي منها على الجانب الروحي، ناهيك باقتراب غياب الجيل المسن الذي يدخر هذا التراث وجهل الجيل الجديد له لعدم تدوينه [٢].

وأدرك اليهود أن إلغاء ثقافة وتاريخ وحضارة هذا الشعب هو شهادة الوفاة الحقيقة للشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية برمتها، فحاولت بشتى الطرق والوسائل فصله عن ثقافته وعن تاريخه وعن حضارته، وفي هذا الصدد يقول "فيكتور سحاب" - وهو كاتب وموسيقي مهتم بالتراث الشعبي الفلسطيني: "كل تراث شعبي يقتضي في العصر الحديث جهوداً مضاعفة لحمايته من الاندثار، فكيف إذا اجتمعت لِمَحْوِه عوامل العصر الاعتيادية وعوامل الاحتلال غير العادية التي تتعمد القضاء على ملامح الشعب الفلسطيني للقضاء على وجوده؟" ويضيف مؤكداً على ضرورة العمل على حفظ هذا التراث: "وإذا كانت مهمة تسجيل ملامح الشعب الفلسطيني خطيرة وضرورية، فإن تسجيل هذه الملامح ليس من شأن التاريخ وحده، بل هو مسألة معايشة يومية للتراث على النحو الذي يحفظ لهذا الشعب لا ذكراه في المستقبل بل وجوده الحقيقي وكيانه وشخصيته ووحدته الثقافية والاجتماعية من خلال نسيجه الشعبي الموروث [٣].

فالمعركة مع العدو الصهيوني تتخذ عدة أوجه أبرزها على الأرض الصراع المسلح وصراع الوجود الذي ينطوي تحته معركة الدفاع عن الهوية والموروثات والعادات والتقاليد والقيم الموروثة [٤].

ولأن التراث والتاريخ هما لبّ القضية فإن هذه المنظومة التراثية لم تجد العناية الكافية من قبل التنظيمات الفلسطينية، ولأن التراث هو شاهد الحضارة ورائحة الأجداد، وأغاني الجدات الطيبات ليلة الميلاد والعيد وقبل النوم فهي جديرة بأن نقف وقفة جادة أمام أي محاولة لضرب هذا التراث وسلخه عن مجرى الصراع

---

(1) http://www.rezgar.com/debat/word.art.asp?t=0&aid=48038

(٢) يوسف حداد. **المجتمع والتراث في فلسطين**.ط١ (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٥) ص١١.

(3)http://www.islamonline.net/iol-arabic/dowalia/fan-46/alrawe1.asp

(4)http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=5549

والقضية، والتراث الفلسطيني الذي يتميز بخصوصية عالية جداً، فإن الإساءة إليه تعتبر إساءة للقيمة الإنسانية والحقوق الفلسطينية كاملة والحقوق العربية وعبر مسيرة الصراع الدائرة مع هذا العدو وما سبقه من احتلال بريطاني ومن قبل دولة أتاتورك، والشعب الفلسطيني بكافة شرائحه من الفلاح إلى الكاتب والأديب مروراً بالعامل والصحفي يتصدون لكل محاولة من الاحتلال وغيره لتشويه القيمة التراثية [١].

ولقد ظن أعداؤنا أن سنوات الحرمان الطويلة من الهجرة والنفي والإبعاد عن أرض فلسطين سينسى شعبنا تراثه الفني العريق، والتراث الفلسطيني ارتبط بالأرض الطيبة المعطاءة وبالعلاقات والعادات الاجتماعية في فلسطين [٢].

وقفة فلسطينية عربية جادة للحفاظ على التراث

محاولة الاحتلال الإساءة لهذا التراث لا تعيب الشعب الفلسطيني ذاته، لكن ما يسيء هو أن يقوم المجتمع ذاته أو بعض أفراده بالإساءة لهذه القيم الموروثة الراسخة، فإساءة المجتمع للقيم التراثية يعني انسلاخه عن هويته وبالتالي انسلاخه عن قضيته وحقوقه المشروعة، وبالتالي تعكس هذه الإساءة حالة من الجهل التي توغلت في صفوف المجتمع والتي يجب الوقوف بوجهها وقفة جادة وحقيقية ويقع على عاتق جميع فئات المجتمع الفلسطيني سواء في الداخل أو الشتات بناء جسر يعيد بناء ما تم هدمه وإعادة وصل ما تم كسره بين الشعب والتراث [٣].

لذلك كان لا بد من هذه الصرخة أن تنطلق عبر كل الصفحات الممكنة لتصل لكل عربي وفلسطيني في كل مكان في الأرض ولكل الفصائل الفلسطينية والمنظمات الثقافية والأهلية العربية والفلسطينية للتصدي لكل ما هو مؤذي من ظواهر مستحدثة في المجتمع الفلسطيني بكل الوسائل والسبل، كي يظل الحق الفلسطيني محفوظاً وراسخا [٤].

من هنا جاء تطبيق أجزاء أخرى من المؤامرة، على المثقف الفلسطيني وإبداعه وكل ما يشير إلى ارتباطه بهذه الأرض عندما " نهبت العصابات الصهيونية عام المأساة 1948 المكتبات الخاصة لأعلام فلسطين البارزين من العلماء والكتاب، والمكتبات العامة بما فيها من ثروات فكرية، وبخاصة في مدينة بيت المقدس التي كان بها عدد غير يسير من المكتبات القيمة وتبددت ثروة فكرية ضخمة من المؤلفات الفلسطينية ومن آثار المفكرين العلماء والكتاب والشعراء من أبناء فلسطين، وتعذر الوصول إلى تلك الذخائر من المطبوعات والمخطوطات النادرة الثمينة التي لا تقدر بثمن، وهذا ما حدث في جوانب أخرى تتعلق بالهوية الفلسطينية المرتبطة بالمكان، كأحد

---

(1)http://membres.lycos.fr/saitabdellah/article.php3?id_article=424

(٢) عبد اللطيف البرغوثي. **مرجع سابق**، ص ٤٨.

(3)http://membres.lycos.fr/saitabdellah/article.php3?id_article=424

(4)http://www.falasteen.com/article.php3?id_article=5549

أسس المعركة، حيث شكلت الحكومة الإسرائيلية في عام ١٩٤٩ لجنة علمية متخصصة لتغيير معالم المكان الذي تم الاستيلاء عليه وطرد سكانه منه، وكانت مهمة هذه اللجنة تغيير أسماء الأماكن العربية إلى أسماء عبرية [١] وناقوس الخطر يدق من أكثر المناطق الفلسطينية حساسية، من قلب المخيم الفلسطيني الذي كان في السابق يعتبر من اكبر حراس الهوية الفلسطينية التي تدل الشواهد أنها الآن تعاني حالة انتحار باندسلاخها عن تراثها وهويتها[٢].

ولا شك أن التراث الشعبي العربي الفلسطيني الذي يتعرض للنهب والتزييف من جانب العدو الصهيوني يدفع أمتنا العربية بإلحاح إلى واجب قومي يحتم عليها أن تدعم كل الجهود فردية أو جماعية للعمل على جمع هذا التراث الشعبي العربي بشكل عام بألوانه المتنوعة إنما هو تعبير أصيل عن الشعب العربي، ومن ثم فأن واجب الإعلام العربي والمشرفين على التربية والأنشطة الثقافية هو تأكيد الجانب الذي يخدم تطلع الشعب العربي إلى حياة أفضل ويرسخ قيم الوحدة العربية الأصيلة في وجدان شعبنا العربي عن طريق نشره وتقديمه بكل الوسائل المتاحة كما أن واجب المبدعين هو أن يستلهمون هذا التراث الغني من أجل تقديمه في إطار معاصر يحافظ على قيمنا وتقاليدنا وشخصيتنا العربية [٣].

ومما يزيد في تفاقم الخطر على التراث الفلسطيني كون العديد من القرى الفلسطينية قد اقتلع منها سكانها وتشردوا، الأمر الذي جعل الكثير من التراث الشعبي مهددا بالزوال وإن الغاية من تدوينه هي الحفاظ عليه من جهة، والمحافظة على الشخصية الوطنية من جهة ثانية، ولأنه يشكل جذورا صلبة تمتد إلى أعماق الماضي، فيبقى الترابط بين الشعب والأرض مستمرا مهما طال زمن التشرد ومهما اشتدت وطأة إفناء الشخصية [٤].

والهوية الفلسطينية لها ما يدعمها ويؤصلها وإذا كان التراث عموماً يشكل جزءاً مهماً وحيوياً من مكونات الهوية الثقافية لأي شعب فإن التراث الفلسطيني يتعدى ذلك لسببين [٥]:

أولاً: المحاولات الدائمة لإسرائيل والهادفة إلى محق هذا التراث بل ونسبته إليها.

ثانياً: إن جزءاً من هذا التراث ما زال يشكل نهج حياة في بعض القرى الفلسطينية.

ومن أكثر صور السطو على التراث في العصر الحديث ما تعرض له التراث الفلسطيني فمنذ القرن الماضي وهو يتعرض لعملية تزييف وسطو وتغيير بنفس

---

(1)http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(2)http://www.rezgar.com/debat/word.art.asp?t=0&aid=48038

(٣) فؤاد عباس. **مدخل إلى الفولكلور** (القاهرة: دار الموقف العربي، د.ت) ص٥٤-٥٥.

(٤) يوسف حداد. **مرجع سبق**، ص١١.

(5)http://www.pnic.gov.ps/arabic/culture/Populor.html

القسوة التي طرد بها شعب فلسطين من أرضه، لذلك كان لزاما علينا أن يدافع كل من موقعه عن هذا الحق ويعيده إلى نسبه الأصلي لأنه مرتبط بقضية شعب وأرض (١).

نماذج من تدمير الاحتلال الإسرائيلي للتراث

نحاول استعراض بعض نماذج من تدمير الاحتلال لكل مقومات الثقافة والتراث الفلسطيني والسعى نحو تهويد القدس وتفريغها من هويتها الفلسطينية العربية الإسلامية والانتهاكات الإسرائيلية الخطيرة للمكتبات والتراث الثقافي الفلسطيني منذ ١٩٦٧ مروراً بالاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية منذ ٢٩ مارس ٢٠٠٢ وأخيراً حرب غزة في ٢٧ ديسمبر من عام ٢٠٠٨(٢).

الحفريات وتهويد القدس

عملت إسرائيل على تهويد القدس من خلال حفر الإنفاق تحت أساسات المسجد الأقصى وإقامة مدينة دينية تاريخية يهودية وتجسيدها على أرض الواقع من خلال استخدام كافة أساليب الإغراء والترغيب بالمال بغير حدود مقابل التنازل للاحتلال الإسرائيلي والترهيب بالقوة وإقامة مشاريع سياحية على الأراضي المقدسة حتى المقبرة الإسلامية تم تحجيمها من ٢٠٠ دونم إلى ١٩ دونم تحت ذرائع إقامة مركز للتسامح والكرامة الإنسانية بتكلفة ٢٠٠ مليون دولار وإنشاء فندق ومنتزه على حساب التاريخ والمقدسات العربية والإسلامية (٣).

ويمنع الاحتلال الإسرائيلي أي محاولة لترميم المنازل الأثرية الفلسطينية وخاصة التي تقع بالقرب من المسجد الأقصى والتي تصدعت بسبب الحفريات المستمرة والأنفاق التي يحفرها الاحتلال بالإضافة إلى فرض غرامات مالية باهضة وإجراءات تعسفية من قبل البلدية والشرطة وسلطة الآثار وذلك لتهجير الفلسطينيين المقدسيين (٤).

---

(1)http://www.shala.ca/articles/15.htm

(2)http://www.afli.org/sa71.html

(٣) الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلامية داخل الخط الأخضر(١٩٤٨). **مقابلة مع قناة الجزيرة**، بتاريخ ١٥- ٤- ٢٠٠٩ضمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

(٤) ناجح بكيرات رئيس قسم المخطوطات بالقدس. **مقابلة مع قناة الجزيرة**، بتاريخ ١٥- ٤- ٢٠٠٩ضمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

ويقوم الاحتلال الإسرائيلي بشكل مستمر بسحب بطاقات المقدسيين لتفريغ المدينة من أهلها وخلق واقع ديمغرافي يهودي يفرض واقع سياسي لصالح إسرائيل (١).

وممارسة كافة أشكال وأساليب الحرب الثقافية من خلال منع إقامة العديد من النشاطات والفعاليات والاحتفالات تحت حجج وذرائع واهية وخاصة تسويق الأفكار المتعلقة بمشروع القدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩ وتوقيف القائمين على المشروع (٢).

أما الحفريات التي أجرتها إسرائيل في حرم المسجد الأقصى منذ ١٩٦٧ بحثا عن هيكل سليمان الذي لم يوجد قط في هذا المكان بالذات بشهادة المؤرخين، فقد تسببت في تهديد جد خطير لمبنى ثالث الحرمين عند المسلمين، أما الحريق الإجرامي الذي شب بالمسجد يوم ١٩٦٩/٨/٢١ فقد ألحق أضراراً كبيرة ولم تستطع أعمال الترميم إصلاح جميع آثار الحريق إلى اليوم، مثل منبر صلاح الدين.

وعلاوة على ذلك فإن الصهاينة لم يحترموا قدسية أماكن العبادة عند المسلمين والمسيحيين من ذلك تدنيس المسجد الأقصى عدة مرات ومنه انطلقت الانتفاضة الحالية (٢٠٠٠) ومسجد الخليل الذي قتل فيه ٤٠ مسلما أثناء أداء صلاتهم عام ١٩٩٥، كما دنسوا الكنيسة اللوثرية في مدينة بيت جالا (تشرين الثاني ٢٠٠١) وكنيسة المهد (أبريل ٢٠٠٢).

جدار الفصل العنصري وتأثيره على الآثار الفلسطينية

والتهم جدار الفصل العنصري الكثير من الأراضي الفلسطينية وذلك لرسم الحدود وفقاً للخارطة والإستراتيجية اليهودية ويقول يهود أولمرت رئيس وزراء إسرائيل السابق: " سنعمل على رسم الحدود الدائمة وتطبيقها على أرض الواقع لكي يتقبل الفلسطينيين ذلك ".

ووفقاً لتقديرات دائرة الآثار الفلسطينية، فإن الجدار الذي تبنيه إسرائيل في الضفة الغربية سيعزل أكثر من ١٥٠٠ موقع ومعلم آثري بين الخط الاخضر وجدار الفصل الغربي، كما أن هناك ١٢٥٠ موقعاً ومعلماً أثرياً يتهددها الجدار المقترح في وادي الأردن في الشرق، وهكذا فإن الجدار في حالة إكتماله سيعزل أو يدمر نحو ٢٨٠٠ موقع ومعلم آثري معروف بالضفة الغربية ن وهذا الرقم لا يستهان به إذ إنه يمثل ما نسبته ٢٣.٣% من مجموع المواقع والمعالم الأثرية المعروفة في المناطق الفلسطينية وأكثر من ١٢% من مجموع المواقع الآثرية المعروفة في فلسطين

---

(١) مالك روبين مرشد مدينة القدس. **مقابلة مع قناة الجزيرة**، بتاريخ ١٥- ٤- ٢٠٠٩ضمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

(٢) أحمد الرويضي رئيس لجنة تحضير الاحتفالية لمدينة القدس عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٩. **مقابلة مع قناة الجزيرة**، بتاريخ ١٥- ٤- ٢٠٠٩ضمن برنامج " فلسطين تحت المهجر "الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.

التاريخية، وتشير دائرة الآثار الفلسطينية أن الجدار دمر كلياً او جزئياً نحو ٨٠٠ موقع أثري وهذ الوضع سيكون له تأثير كارثي في تراث فلسطين الحضاري وفي قطاع السياحة فيها [١].

(١) عادل يحيي. **مرجع سابق**، ص ١٣٤.

تدمير مركز الفنون بغزة مع بداية عام ٢٠٠٩

لم يستثن المحتل في حربه المساجد والمراكز والجمعيات الثقافية والفنية التي تعرضت للقصف والتخريب حيث دمرت قوات الاحتلال الإسرائيلي مبنى الفنون والثقافة التابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني بحي تل الهوا خلال حربها الأخيرة على قطاع غزة مع بداية عام ٢٠٠٩ الذي لم تبق قذائف الدبابات الإسرائيلية ولم تذر شيئا من محتوياته التراثية والشعبية والاحتلال يسعى إلى طمس معالم الفن والتراث الفلسطيني الذي يعود تاريخه إلى مئات السنين وتدمير المسرح الفني بغزة دلالة واضحة على ذية الاحتلال القضاء على تراث الأجداد وتأسس المسرح عام ١٩٩٦، كان يحتوي أكثر من ٣٠٠ لوحة فنية إلى جانب أعمال تراثية قديمة دمرت بالكامل والخسائر الإجمالية التي تكبدها المركز الثقافي جراء الاستهداف الإسرائيلي بلغت نحو ١٥ مليون دولار، بالإضافة إلى ضياع الأعمال الفنية والمحتويات التراثية التي عكف الفنانون في القطاع على تجميعها وحفظها داخل المركز الذي كان منارة للأجيال الشابة في قطاع غزة، بالإضافة إلى قصف وتدمير ٢٥ مسجداً بعضها قصف خلال أوقات الصلاة بشكل ينم عن الحقد الإسرائيلي للتراث الإسلامي، وتدمير مباني الجامعة الإسلامية التي بنيت على الطراز الإسلامي بما تحتويه من مختبرات ومكتبات تشكل المذبر العلمي الثقافي لمواطني قطاع غزة في ظل الحصار.

تدمير المباني الأثرية

انتهاك المعالم الأثرية العربية وتدنيس أماكن العبادة، فقد دمرت الدبابات والجرافات والصواريخ الإسرائيلية العديد من آثار نابلس التاريخية والتي تعد من التراث العالمي حسب اليونسكو، ومن بين المباني الأثرية التي دمرها جيش الاحتلال والتي لا يمكن تعويضها جامع "الخضرا" الذي شيد في العصر المملوكي عام ١٢٠٠م على الطراز الإسلامي المملوكي ويتميز بالمئذنة والقبة، ويتكون من محراب ومصلى وساحة ومرافق، ومساحته حوالي ١٥٠م، وقد دمر تدميراً تاماً كاملاً أثناء اقتحام قوات الاحتلال للبلدة القديمة في الثامن من أبريل ٢٠٠٢.

ومن المباني الأثرية التي دُمّرت فندق "الياسمينا" وهو بناء قديم عمره حوالي ٢٥٠ سنة ومكون من طابقين ومبني على الطراز العربي الإسلامي ويعتبر تحفة فنية، وقد دمر بالكامل في التاسع من أبريل ٢٠٠٢ بجرافات جيش الاحتلال الإسرائيلي، وكذلك حمام "الشفاء" وهو حمام تركي قديم شيد منذ حوالي ٢٠٠ عام في العهد التركي ومبني ومصمم على الطراز التركي الإسلامي، ويتكون من مقصورات حجرية وغرف بخار تعمل بالفحم النباتي أو الخشب وصالة ضخمة ارتفاعها حوالي

١٨ مترا، وتبلغ مساحته حوالي ٦٠٠ متر، ويرتاده الأهالي والزوار والسائحون، وتم تدميره كلية في الثامن من أبريل ٢٠٠٢ بجرافات الاحتلال ليدخلوا من خلاله إلى عمق البلدة القديمة في نابلس بواسطة مجنزراتهم ودباباتهم[١].

وحتى الأسواق لم تسلم من بطش الاحتلال وتدميره لها، فقد أقدم في الفترة ما بين الخامس والعاشر من أبريل ٢٠٠٢ على تدمير خان التجار، وهو سوق قديم يصل إلى سوق القصبة في قلب البلدة القديمة في نابلس، وعمره حوالي ٥٠٠ سنة وبني في العهد التركي وهو خليط من الطراز العربي الإسلامي والمملوكي والروماني، ولا يتسع إلا للحركة بالأقدام أو بعربات الخيول، واستخدم قديما كخان أو مكان لإيواء وحفظ الخيول والحيوانات التي يزور أصحابها مدينة نابلس وسوقها القديم وحديثا أصبح يستخدم سوقا للعطارة والمواد الطبيعية القديمة ويعتبر كنزاً أثرياً لا مثيل له، وقد تم تدمير معظم أجزائه وأبنيته وتم إدخال مجنزرات الجيش الإسرائيلي إلى داخله أثناء إعادة احتلال نابلس.

تدمير الصناعات التقليدية

أما مصانع الصابون التي تشتهر بها نابلس منذ القدم والتي يعود عمرها إلى حوالي ٢٥٠ سنة فقد أقدمت جرافات الجيش الإسرائيلي على هدم العديد من هذه المصابن التاريخية كمصبنة المصري والرنتيسي وكذعان، وتحتوي على خزانات حجرية للمواد الخام ومصاطب لتجفيف الصابون وخزانات حرارية لغلي الصابون تعمل بالحطب والخشب بالإضافة إلى معارض يتم عرض الصابون النابلسي بها بطريقة هندسية رائعة الجمال وتعتبر من المهن المتوارثة في نابلس[٢].

انتهاكات المكتبات والكتاب

لحقت المكتبات الفلسطينية أضرارًا بليغة خلال الهجوم الإسرائيلي عام ٢٠٠٢ إذ تشير حصيلة أولية إلى أن خمسة مكتبات أصيبت بالدمار والخراب: مكتبات بئر الزيت والبيرة ورام الله، كما أتلفت تجهيزاتها من حواسيب وفهارس وكذلك الكتب والأقراص المكتنزة والخرائط وقد حول الجنود الصهاينة مكتبة بئر الزيت إلى ثكنة عسكرية.

الرقابة وسجن المثقفين

مارست إسرائيل رقابة تعسفية على المطابع والكتب العربية، مستندة إلى الأوامر العسكرية، كما لجأت إلى حجز أعداد من الصحف والمجلات العربية، وعملت على محاصرة المثقفين والمؤلفين الفلسطينيين سواء باعتقالهم أو نفيهم أو

(1) http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml
(2)http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

وضعهم تحت الإقامة الجبرية أو اغتيالهم بسبب أفكارهم والتزامهم بالدفاع عن قضية شعبهم [١].

غلق أو هدم المدارس والمؤسسات الثقافية وقتل الطلبة

تشير المعلومات أن الاجتياح الإسرائيلي عام ٢٠٠٢ أدى إلى تحطيم جزئي أو كامل لأكثر من ١٣٧ مدرسة وجامعة وإتلاف تجهيزات المؤسسات التعليمية، علاوة على تحطيم المؤسسات الثقافية مثل مركز السكاكني ومكتب محمود درويش.

والسلطات الإسرائيلية التي تتشدق بالديمقراطية والحرية والمعرفة تمارس فضائع لا مثيل لها في حق الفلسطينيين الأبرياء، وتعمل على طمس تراثهم الثقافي ونشر الأمية بين الأطفال والشباب وتحطيم أو إغلاق المؤسسات التعليمية والثقافية والمعلوماتية، ولهذا فإن المكتبيين العرب مطالبون بالعمل إلى جانب المثقفين العرب، والضمائر الحية في العالم على فضح الجرائم التي تقوم بها إسرائيل وحشد التأييد للقضية الفلسطينية والاتصال بالجمعيات والمنظمات المكتبية والعلمية الدولية وإزاء الدمار الذي لحق المباني والخسائر الجسيمة في الأرواح التي تكبدها الفلسطينيين يوجه نداء إلى الحكومات والمنظمات والجمعيات والهيئات العلمية لمساعدة الشعب الفلسطيني لإعادة بناء البنية التحتية للمؤسسات الثقافية والمكتبية وإقامة المكتبة الوطنية الفلسطينية وبناء النظام الوطني للمعلومات وإنقاذ المخطوطات والأرشيفات العربية في فلسطين المحتلة [٢].

إن تعليم الرواية الصهيونية والثقافة اليهودية للطالب العربي يهدف إلى خلق وعي مشوه وهوية إسرائيلية، في محاولة لإنتاج وعي قسري في ظل غياب الرواية العربية الفلسطينية البديلة، وسيجد الطالب العربي نفسه يتعلم عن هرتسل، بن غوريون، اليعزر بن يهودا ومناحيم بيغن، والجاسوس الإسرائيلي في سوريا ايلي كوهين، والبارون روتشيلد، جابوتنسكي بيالك، حاييم وايزمن، شموئيل عغنون، سارة اهرونسون واكتفت بثلاث شخصيات عربية من الداخل: إميل حبيبي (مشترك لليهودي والعربي)، عبد العزيز زعبي والمطران حجار وقد استهل تعريف إميل حبيبي بالقول "أديب وكاتب في الشؤون الاجتماعية والسياسية، ورجل سياسة حاصل على "جائزة إسرائيل" لسنة ١٩٩٢" وأستهل تعريف عبد العزيز الزعبي بالقول: "ولد في الناصرة، رجل مجتمع عربي إسرائيلي، وكان فاعلاً على الساحة المحلية سياسيا وجماهيريا من أجل المساواة بين العرب واليهود في الدولة ودمج المواطنين العرب في حياة الدولة كمواطنين متساوين، وهناك تغييب للشخصيات الوطنية

---

(1)http://www.afli.org/sa71.html

(2)http://www.afli.org/sa71.html

الفلسطينية ثقافيا وسياسيا مثل: غسان كنفاني، ناجي العلي، الحاج أمين الحسيني، صالح برانسي، منصور كردوش، حنا نقارة والقائمة طويلة جدا [١].

أما الجزء الخاص بالتراث العربي فلم يشمل سوى أسماء ابن رشد وابن سينا وابن خلدون وهو مليء بالمصطلحات التي يعرفها الطالب العادي من الحياة والدروس الأخر كالدين والتاريخ مثل عيد الأضحى وعيد الفطر والمؤذن والكنيسة والمسجد والمروءة والمعلقات والاستسقاء والخيمة والخليفة وهي مصطلحات لا تعبر عن التراث العربي الإسلامي ولا تقدم لمعاني الهوية الوطنية شيئا ولا تحقق الخصوصية الثقافية للطالب العربي الفلسطيني عدا كونها عرفت بطريقة سطحية لا تتم عن فهم عميق لها [٢].

الاهتمام الإسرائيلي بالثقافة والتراث منذ التأسيس

وعندما تأسست الحركة الصهيونية رأى مفكروها وحراسها أن الإعلام أفضل وسيلة لنيل ما كانوا يخططون له، وذلك جمع شتاتهم في وطن بعد أن اكتشف العالم الغربي على وجه الخصوص سوء نواياهم وخططهم الخبيثة وأطماعهم في السيطرة على كل ما تصله أيديهم واتجهت أطماعهم صوب أرض فلسطين على أساسا أنها أرض آبائهم وأجدادهم وتاريخهم القديم ولم يعيروا اهتماماً لأصحابها الشرعيين الذين هم العرب الفلسطينيين، وكما تعلمون فقد عمدوا إلى تشكيل لوبي صهيوني يدعو إلى إقامة وطن في تلك البقعة التي يقدسها المسلمون والمسيحيون، وقد تغلغل رجال الفكر اليهود في أوروبا وأميركا ووجدوا أنه من الضروري جداً لهم إيجاد لوبي إعلامي فعال يغسل الأدمغة ويزرع فيها الاعتراف بحق اليهود في فلسطين وأنها أرض الميعاد وأنهم (أي اليهود) الشعب المختار إلى آخر ذلك من المزاعم الكثيرة المعروفة وقد وفروا لهذا اللوبي الأموال الضخمة والإمكانيات اللازمة والكفاءات المتخصصة حتى أصبح قوة فعالة ومؤثرة، وما أن تم لهم ما أرادوا من اعتراف الغالبية العظمى من دول الغرب وأمريكا بإسرائيل وأنها يجب أن تبقى وتحصل على كافة الحقوق كأي دولة أخرى تتمتع بكل مزايا الاستقرار والأمن نحو ذلك [٣].

ولقد كان الدور الأول للفريق الذي تولي إدارة تلفزيون إسرائيل تأكيد دور التليفزيون في تشكيل الحياة الثقافية في المجتمع الإسرائيلي ويسعى التلفزيون الإسرائيلي إلى الإنتاج المستقل، حيث نص قانون هيئة الإذاعة الإسرائيلية IBA في

---

(1)http://www.arabhra.org/arabic/arweqa/nashra001/studentspeak.htm

(2)http://www.arabhra.org/arabic/arweqa/nashra001/studentspeak.htm

(٣) الإعلام العربي الأوروبي حوار من أجل المستقبل. **مرجع سابق**، ص١٣٢.

البندين الثالث والرابع منه على الالتزامات الثقافية وعلى اعتبار التلفزيون جزء منها [١].

النكبة وضياع التراث الفكري

النكبة عام ١٩٤٨م التي حدثت أرجعت العقل الثقافي المبدع إلى الوراء رغما عنه، حتى أنه لم يعد يتذكر ما كتب، ولا في أي اتجاه، و هذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أنّ الاهتمام بالثقافة تراجع ولو مؤقتا جراء ما أصابهم من فاجعة أليمة، ولا يمكن للقارئ أن يتصور فداحة الخسارة التي لاقتها المكتبة الفلسطينية بسبب النكبة إلا عندما يتتبع كتب التراجم ويقارن ما لدينا من مؤلفات بما تذكره تلك الكتب، ففي ترجمة الشيخ يوسف إسماعيل النبهاني "أجزم - حيفا ١٨٥٥-١٩٣٢"، من أعلام النهضة في الشعر الفلسطيني الحديث، يذكر سركيس في معجمه أن له ثمانية وأربعين مؤلفاً في حين أننا لا نجد منها اليوم إلا القليل[٢].

هذا التراث الفكري بما يحتو يه من خلاصة الإبداع، وثمرة لعقول أعملت فكرها طويلا للنهوض بالوطن والتقدم به رغم الظروف الصعبة في ظل الاستعمار الانجليزي، إلا أن ما جاء بعد ذلك كان أشد وطأة، وأكثر خطورة فبحلول خيمة اللاجئ محل الدار والحقل، يختفي الكتاب الفلسطيني مؤقتاً إما لأن الإنسان قد فقد الأمل في كل شيء بعد أن فقد وطنه وهويته وبذلك أصبحت الثقافة بالنسبة إليه ضربا من الرفاهة والكمالية، أو لأن الظروف القاهرة قد عرقلت مسيرة هذا النتاج، حيث اضطر الكثيرون إلى نشر مؤلفاتهم بأسماء مستعارة أو الاحتفاظ بها مخطوطة مما كان يعرضها أحيانا للضياع قبل نشرها، ولم يحل انشغال الصهاينة بالاستيلاء على الأراضي واقتلاع أهلها منها، من التغاضي أو نسيان الأهداف الخطيرة الأخرى التي وضعوها في خطتهم، وكان من أهمها تغييب الهوية الثقافية الفلسطينية والتخلص من كل تراث فكري لأهلها، كي تبدو وكأن الديار بكل ما فيها من هواء وكلمات وتاريخ خالصة لهم، مع إلغاء كل ما يشير بصلة إلى أصحابها الحقيقيين [٣].

ونحن بأمس الحاجة إلى توثيق التراث العربي بمختلف وجوهه في فلسطين، والذي يتعرض لهجمة صهيونية استيطانية واستلابية شرسة لمفردات التراث العربي الفلسطيني فالصهاينة يحاولون نسبة نماذج التراث الشعبي والتاريخ

---

(١) بانوراما الإعلام الإسرائيلي. **تأليف:** دان كاسبر وييهيل ليمور. **ترجمة:** أحمد مغازي (القاهرة: الأنجلو المصرية، ٢٠٠٧) ص٢٨٤.

(2) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

(3) http://www.prc.org.uk/data/aspx/d2/632.aspx

في فلسطين إلى التاريخ اليهودي والإسرائيلي المزيف، ومن واجبنا وقف موجة النسيان لهذا التراث العربي الفلسطيني من قبل الجيل الحالي والأجيال الآتية [١].

لذا يجب فضح الكيان الصهيوني الذي يتشدق بالحرية وانتمائه إلى العالم الحر بسبب ما يقوم به من طمس للمعالم الحضارية العربية في فلسطين المحتلة، وبسبب ممارسته لسياسة تجهيل الشباب الفلسطيني وإغلاق المؤسسات التعليمية والعلمية وإتلاف المكتبات ومراكز الأرشيف والتوثيق والمعلومات الفلسطينية وسلب ذخائرها من الكتب والمخطوطات والوثائق العربية سعيا منه لطمس الهوية الثقافية والوطنية للشعب الفلسطيني، وندعو جميع الزملاء المكتبيين في الدول الغربية إلى استنكار هذه الممارسات اللاحضارية للإسرائيليين والتضامن مع زملائهم في الأراضي الفلسطينية المحتلة[٢].

وإذا كان لكل شعب سمات معينة في تراثه فإن حفظ التراث واستلهامه عملية يقصد بها الإبقاء على السمات القومية وهذا الإحياء بحد ذاته مرادف للاستقلال، فإحياء التراث عمل هادف للحفاظ على الثقافة والشخصية الوطنية ويرتبط تحقيق هذا الهدف بالاستقلال الفعلي فمنذ القرن الثامن عشر كان جمع الأغاني الشعبية عملاً يقصد به المشاركة في حركة التحرير الوطنية وإظهار الطابع المحلي للأغنية والموسيقى الشعبية، ولقد قاد هذا الإدراك لأهمية هذا التراث الحكومات لإعارته الاهتمام المتزايد ومع الزمن بدأت مختلف حكومات العالم تحس بأثر إحياء الفنون الشعبية ودورها في إبراز السمات القومية [٣].

والتراث أحد دعائم الثقافة الوطنية فنحن في العالم العربي عامة وفي فلسطين خاصة معنيون أكثر من غيرنا بالحفاظ عليه وتدوينه ودراسته ونشره وذلك لن التجزئة والإقليمية والتغريب تلعب جميعها دورا نشطا في طمس الشخصية الوطنية ومحوها ناهيك بالاستيطان الصهيوني الذي اقتلع شعبنا ولا يزال ممعنا في تهويد الأرض والتراث دائبا على العمل الجاد لطمس الشخصية الفلسطينية ومحوها من الوجود كما أن الخوف على المأثورات الشعبية من الاندثار أو التحريف أو من السطو عليها كما فعل الصهيونيين لأمر يستدعي الاهتمام بتدوين هذه المأثورات لحفظ تراثنا الذي يمثل حياة وتقاليد شعب من جهة، ومن جهة ثانية يكون عنصرا فاعلا في الحفاظ على شخصيتنا على بعث الإحساس القومي الصاخب فينا الذي يشكل تحديا حاسما لكل عمليات الإبادة والتهويد، وأن التعرف على ثقافتنا والتشبث

---

(١) أحمد حجازي. موسوعة الأمثال الشعبية الفلسطينية. **مرجع سابق**، ص٥.

(2) http://www.afli.org/sa71.html

(3) http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

بكل لوحة وكل رسم وكل موال ولحن يربطنا بالأرض التي اقتلعنا منها أمر في غاية الأهمية [١].

وهناك محاولات إسرائيلية متعمدة لتشويه التراث الفلسطيني وهذا إرهاب دولة منظم ضد الكلمة والتراث والفكرة والكوفية وضد الثوب الفلسطيني المطرز الذي يشكل الشخصية وشخصية الإنسان ما هي إلا لغته وأرضه ومعطياته الفلكلورية والشعبية، وهي القيم العليا التي يحملها وهناك محاولات لقتل القيم العليا حتى المعطيات التي تزين الإنسان الفلسطيني وعلاقته بالأرض وحبات الزيتون كل الأشياء التراثية حاولوا تدميرها ومع ذلك ستبقى لأن أي دولة إرهابية لا تستطيع أن تدمر شعبا حتى لو جاءت بكل اختراعات الذرة لا يمكن أن تقضي على حضارة شعب مهما بلغ حجم قوتها وجبروتها وكل فلسطيني يولد وفي يده حجر بسيط يقف به أمام دبابة هذه صورة إنسانية تدل على أن التحول قادم والحرية لا بد آتية [٢].

وقويت الدعوة للعناية بالتراث مع الزيادة الهائلة في المعلومات التي تجمعها وتولدها هيئات حماية البيئة والكثير يمكن الاستفادة من الموجود في الثقافات القديمة [٣].

التراث الشعبي هوية ووطن وحضارة

لقد حاولت إسرائيل أن تسرق التراث الشعبي الفلسطيني، بعد أن سرقت الأرض الفلسطينية، ولكنها فشلت في إدعاء هذا التراث لنفسها ذلك أنه بقدر أهمية اغتصاب الأرض على المستوى المادي والعسكري القمعي المباشر من المستحيل اغتصاب التراث الشعبي الناتج من رحم هذه الأرض وتظل إسرائيل عاجزة، رغم تفوقها التكنولوجي وامتلاكها من مائتي قنبلة نووية، أمام إرادة الشعب الفلسطيني في الإصرار على تركه لتراث هذه الأرض والتفاصيل الحضارية لتاريخها وجغرافيتها ولكن هذه المعادلة في الصراع، بين الغاصبين المعتدين من جهة، وأصحاب الحق الشرعيين من جهة ثانية ولا تتم تلقائيا، ولا تتوافر على حفظ الحق لأصحابه، ومعاقبة الغزاة ودحرهم، دون جهد يبذل، وخطط تنفذ، ومناهج تثبت وتتحقق [٤].

---

(1)http://www.islamonline.net/arabic/arts/2002/04/article13.shtml

(2)http://www.amanjordan.org/a-news/wmprint.php?ArtID=1152

(٣) عبد الحكيم بدران. **مرجع سبق**، ص١٩٣.

(٤)محمد السهلي. **مرجع سابق**، ص٤-٥.

التراث في الخارج

أول الملاحظات تكمن في حفاظ فلسطينيي الخارج على هذه العادات، فرغم ممارسات اليهود في طرد الفلسطينيين من أراضيهم وبلادهم، ورغم تشتتهم في معظم أنحاء العالم رغم كل ذلك فقد حافظ فلسطينيو الخارج على نمط حياتهم، وحديثهم، ولبسهم، وكأنهم ما زالوا في أرضهم التي نشئوا فيها أو في قريتهم الصغيرة، وعندما تتحدث إلى فلسطيني كبيرًا كان أم صغيرًا تجده يتحدث بلسان أهله لدرجة تمكنك من تمييز من أي بلد هو إذا كنت خبيرًا باللسان الفلسطيني ولهجاته، والعجائز الفلسطينيات ما زلن يلبسن "الثوب الفلسطيني" المطرز ويرفضن تغييره، أما الرجال فيلبسون "الحطّة" وهو غطاء للرأس يشبه ما يضعه الخليجيون على رؤوسهم أما عندما تدخل بيت أحدهم، تجدها نسخة من بيته في بلده، حيث صُور الأقصى وفلسطين في كل مكان، والـ"جاعد" – وهو صوف الخروف – يغطي كراسي الجلوس، والمشغولات اليدوية التراثية التي صنعتها ربة البيت بيديها تملأ المكان كما يحرص الفلسطينيون في أفراحهم على إظهار الجانب التراثي فيها، وهو الأمر الذي أوجد كثيرًا من الفرق الفلسطينية في العديد من الدول العربية، وهذه الفرق تعزف الأنغام الفلسطينية وترقص "الدبكة الفلسطينية"، في مدلول جديد على الحفاظ على التراث والثقافة. أما المأكولات فقد حافظ الفلسطينيون في كل مكان على تراثهم "الطعاميّ"، فمن خبز "الطابون" الذي تخبزه المرأة في البيت إلى ضرورة تواجد "زيت الزيتون" و"الزعتر" و"الميرامية" في كل بيت، فلا شاي يشرب بدون الميرامية، ولا إفطار غير "المناقيش" وهي خبز بزيت الزيتون والزعتر – لدرجة تصل إلى أن يوصي من في الخارج أهله في الداخل على إرسال "حصَّة" سنوية من هذه المأكولات لهم؛ ليخزن في البيت كمئونة وزاد للعام كله وامتداد هذا التراث وتواصله، فمن ولد ونشأ خارج أرضه، لا يزال يحمل في قلبه همَّها رغم أن أغلبهم لم يرها، ولا زالت قراءاته السياسية ومتابعاته الإخبارية للقضية مستمرة لدرجة تجعلها ساخنة دائمًا، وأصبح من المعروف بداهة في الفلسطينيين اهتمامهم السياسي الواسع رغم اختلاف مشاربهم ومنابتهم ومستواهم التعليمي، كما تنتشر بشكل كبير في أيدي الشباب الفلسطيني الميداليات التي تحمل صورا من فلسطين، ويستثيرهم دائمًا من يتحدث عنها إضافة إلى حفاظ الأعم الأغلب منهم على لهجة أهله ولسانهم [1].

وقد عكف فريقان من البحاثين والعلماء، مقر أحدهما في إسرائيل ومقر الآخر في المناطق الفلسطينية، على العمل معاً منذ العام ٢٠٠١ في مشروع تعاوني

---

(1)http://www.dr-arzz.net/archive/index.php/t-1677.html

للمحافظة على المواقع التاريخية المهمة للإسلام واليهودية والمسيحية، وقد تم تمويل المشروع، الذي أُطلق عليه اسم "برنامج التبادل من شعب إلى شعب"، من خلال هبة قيمتها ٤٠٠ ألف دولار قدمتها وزارة الخارجية الأمريكية وانبثقت عن اتفاقيات واي ريفر التي تم التوصل إليها بوساطة أميركية ووقعها المفاوضون الإسرائيليون والفلسطينيون في مزرعة واي ريفر بولاية ماريلاند في العام ١٩٩٨.

ويركز الفريق الإسرائيلي، وأعضاؤه من معهد (زينمان) لعلم الآثار في جامعة حيفا، على المباني التاريخية والدينية في مدينة عكا الواقعة في شمال إسرائيل والتي تعتبر من أقدم المدن التي ظلت مأهولة بشكل متواصل، ويضم الفريق الإسرائيلي مواطنين إسرائيليين من اليهود والمسلمين والمسيحيين، علاوة على ألمان وأوروبيين آخرين وأميركيين.

أما فريق الجمعية الفلسطينية للتبادل الثقافي فيركز على المبادرات المتعلقة بالتراث في موقعين مهمين ورد ذكرهما في التوراة هما بيتين (واسمها القديم بيت إيل أو بيتل) والجِيب (واسمها القديم جبعون)، وقال رئيس الفريق، عادل يحيى، وهو عالم آثار ومدير الجمعية الفلسطينية للتبادل الثقافي إن "الموقعين كانا في حالة هشة يعانيان من الإهمال إلى حد كبير وكانت مهمة الفريق طوال ثلاث سنوات هي:

(١) تنظيف وترميم أو إعادة تأهيل المباني إلى أكبر قدر ممكن في القرى القديمة.

(٢) صيانة المواقع من عمليات السرقة والتخريب المتعمد، وهي جرائم قللت من قيمة المواقع وثنت السياح عن زيارتها.

(٣) توعية الأهالي بشأن أهمية المشروع وقد تم تشجيع المسلمين والمسيحيين العرب وتشجيع الإسرائيليين على تقبل فكرة التقاليد المشتركة والتراث والمحافظة عليه وتم التأكيد في إسرائيل على الأخص، على الاحتراس من ردم الماضي بالجرافات .

وإن إنفاق المال في سبيل الحفاظ على التراث لا يدور حول المحافظة على الماضي وإنما حول الاستثمار في المستقبل، وهذا هو ما يجعل مشاريع جديرة بالدعم الدولي [1].

وحقيقة التراث الشعبي والنصوص الشعبية تحتاج إلى دراسات أكثر مما قدمت وتحتاج إلى اهتمامات أكثر لإخراج الكثير من الإبداعات والكثير مما يرتبط بذاتنا، وشخصيتنا في هذه النصوص وما ينتج الصهاينة من أدب صهيوني يتبع نصه بمعاداة واستعلاءه على المسلمين والعرب حتى أن العقيدة اليهودية مثل التلمود، كتاب

(1)http://usinfo.state.gov/ar/Archive/2005/Jun/29-686690.html

حكماء صهيون وغيرها تتضمن الاستيلاء على أرضنا، ونحن بحاجة إلى المستوى التحريضي وليس كثيراً أن للأمور فلسفة لا يفهمها الجمهور ولذلك نحتاج إلى النص التحريضي الصادق، الحق الذي يستند على مستندات مستندات الحق، المستندات القرآنية مثلاً، مستندات إسلامية الذي يستند إلى رؤية بسيطة في ما معنى الحق وما معنى الباطل، ما معنى هذه الأرض وما معنى الاستيلاء عليها فلذلك نحن كفلسطينيين نحتاج فعلاً إلى تكثيف في النصوص المحرضة على المقاومة التي تدفع الإنسان الفلسطيني دوماً للتمسك بأرضه والدفاع عن مقدساته ومقاتلة هذا الكيان الصهيوني حتى يزول من أرضنا [١].

لذا تبرز أهمية توظيف هذا التراث في الأعمال الأدبية والفنية، مثل الروايات والقصص والقصائد واللوحات التشكيلية والمسرحيات وغيرها إن جذور هويتنا الوطنية الفلسطينية، لن تضيع أبدا، فإذا كانت الجرافات الإسرائيلية قد جرفت ودمرت في العام ١٩٤٨م، أكثر من أربعمائة وثماني عشرة قرية فلسطينية، وواصلت جرائمها بعد عام ١٩٦٧ ممعنة في تخريب وتهديم القرى والمدن الفلسطينية، وزرع المستوطنات اليهودية فوق التراب الفلسطيني فإن الذاكرة التراثية للشعب الفلسطيني حافظة لهذه القرى والمدن وقادرة على إحيائها [٢].

---

(1)http://www.irib.ir/worldservice/ArabicRADIO/pages/culture/Leghaat/Legha06.htm

(٢)محمد السهلي. **مرجع سابق**، ص٥-٦.